

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة ابن خلدون / تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السنة الثانية ماستر

تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي نظام ل م د

أسلوب التهكم في القرآن الكريم

سورة الدخان أمودجا

إشراف الدكتور

بلقاسم عيسى

من إعداد الطالبتين:

نور الهدى بوزيد

خيرة العايب

اعضاء المناقشة

رئيسا

أستاذ محاضر "أ"

د/ مرضي مصطفى

مشرفا ومقررا

أستاذ محاضر "أ"

د/ بلقاسم عيسى

مناقشا

أستاذ محاضر "أ"

د/ ميس سعاد

السنة الجامعية: 1441-1442 هـ / 2020م / 2021



مُقْتَلٌ مُّتْرٌ

لا تزال الدراسات اللغوية في مجال القرآن الكريم متواصلة ، وعميقة حيث ان القرآن الكريم كان ومازال حقلا لجميع العلوم و شتى المعارف.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ إِجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ضَهِيرًا﴾.

وقد نبتت نابتة في مصر من الزنادقة و الملحدين في آيات الله ، الصادين عن دين الله، قد سلكوا في الدعوة الى الكفر والإلحاد شعابا مختلفة ، وللتشكيك في الدين طرائق مختلفة ، منها الطعن في اللغة العربية و آدابها" وكان القرآن ومازال مناط كيد الكفرة و المعتدين ، والتحدي الأقوى لهم، ولم ولن يستطيعوا أن يجابهوه ، لأن الله تعالى بالآيات الناسخة ، والتكرار الذي فيه من البلاغة والفصاحة مافيه ، وقد الفت كتب كثيرة دفاعا عن هذا الكتاب العظيم منها كتاب الإعجاز للقاضي أبي بكر الباقلاني ، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، الإعجاز في القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرفاعي. و شاء الله أن يكون موضوع رسالتنا في مجال كلام الله تعالى ، حيث أن الباحث في هذا المجال -كلام الله تعالى- يبحث فيه بخوف ، لأن كلام المولى لا يَحتمل أن تنقل عنه آراء ، ولا أن تضيف فيه من لبنات أفكارك ، لذا كان حري بنا أن ننقل عن كبار المفسرين و المعروف بعلمهم الواسع و المأخوذ عنهم ، حتى لا ننقل ما قد يغضب الله تعالى ، لذا كنا حريصين أشد الحرص أن ننتقي ما هو موزون وإن لم نفهمه، أي أن ننقل ممن فيهم الثقة ، وهذا حتى نخلي ضمائرنا أمام الله عزوجل ، فكان مبدأنا أن ننقل القليل و فيه المصدقية ، خير لنا من أن ننقل الكثير و فيه التعليل ، وقد يكون فيه من الهجوم على كلام الله وعلى الدين مافيه.

الأسباب التي دعتنا الى إختيار هذا الموضوع هي كالاتي...

-حبنا لهذا المجال -القرآن الكريم- لأن القرآن كان ومازال معجزا بألفاظه و معانيه.

-مهاجمة أشباه العلماء و الدارسين للإعجاز- إعجاز القرآن الكريم-.

-التذكير بضرورة الرجوع الى التفاسير وألا نتبع رأي كل من هب و دب.

-أن كلام المولى ليس ككل كلام ، فهو ليس بشعر ولا بنثر ولا بقصة ، إنه كلام الله عزوجل ، والبحث فيه يدخل عليك شيء من الراحة و الطمأنينة.

- كثرة الباحثين في هذا المجال و سعة الدراسات فيه.

نسأل الله عزوجل أن لا نكون قصرنا في شيء أو نسينا شيء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى .

أما خطة بحثنا فكانت كالتالي...

الفصل الأول فكان عنوانه مدخل إلى علم الأسلوب ، وينقسم إلى مبحثين ،المبحث الأول يندرج ضمن مطلبين ،الأول التعريف بالأسلوب لغة و إصطلاحا ، والثاني أهم ما قيل في الأسلوب ،والمبحث الثاني يندرج تحته أربعة مطالب ،الأول التعريف بالتهكم لغة وإصطلاحا ،والثاني أساليب التهكم ،والثالث انواع التهكم ،والرابع اهم المصطلحات المتقاطعة مع التهكم. أما الفصل الثاني فعنوانه سورة الدخان أنموذج ،و ينقسم إلى مبحثين ،الأول التعريف بسورة الدخان ،و المبحث الثاني تطبيقات لبعض الآيات المتضمنة معنى التهكم ،و أخيرا الفصل الثالث بعنوان الاعجاز في القرآن الكريم وفي الاخير خاتمة.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في هذا المجال بشكل كبير ،(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لناصر السعدي ،تفسير ابن كثير ،أساليب التهكم في القرآن الكريم د.عباس علي الأوسي، السخرية مواضعها وأسرارها البلاغية د.باهي عبد الله باهي والي ،الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،تفسير الطبري ،دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني).ولا يمكننا القول بأن بحثنا قد خلا من الصعوبات ،وهي طبيعة كل بحث وأهمها ضيق الوقت ،صعوبة حصر المادة العلمية.

وفي الأخير أتقدم بفائق التقدير والإحترام للأستاذ الدكتور بلقاسم عيسى ،وإن بدر منا أي خطأ فهو بسبب تقصيرنا ،والله ولي التوفيق.

تيارت في 2021/06/25

بوزايد نور الهدى

العايب خيرة .

الفصل الأول

الأسلوب

مفهوم الأسلوب:

أ الأسلوب لغة:

ب أيضا سلب جمع أساليب، نَحَج خاص في الكتابة والتعبير عن الأفكار.¹

الأسلوب هو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا، أي طريقه ومذهبه.²

(س.ل.ب) شيء من باب النصر والاستلاب، الاختلاس والسلب بفتح اللام، مسلوب وكذا السلب والأسلوب الفن.³

والأسلوب هو الطريق، الفن من القول أو العمل. ⁴ ويقال للطريق بين الأشجار وللفن وللمذهب وللشموخ بالأفق والعنق للأسد، ويقال لطريقة المتكلم هي علامة أيضا.⁵

ج الأسلوب اصطلاحاً:

عرف عبد القاهر الجرجاني الأسلوب بأنه الصرب من النظم والطريقة فيه.⁶

أما عند حازم القرطبي لأن الأسلوب يطلق علة التناسب في التأليفات المعنوية، فيمثل صورة الحركة الإيقاعية،⁷ للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها وما في ذلك من حسن الإطراء والتناسب والتلصق في الانتقال من جهة إلى جهة.

والسيرورة من مقصد إلى مقصد.⁸ وحازم يجعل الأسلوب منصبا على الأمور المعنوية وجعل في مقابل النظم الذي هو منصب على التأليفات اللفظية.

1 جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1992م، مج:1، ط7، ص446.

2 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، 1429هـ-2008م، ط4، ص400.

3 الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان-بيروت تح: محمد خاطر، 1986م، ج1، ص130.

4 لويس معلوف، النجد في اللغة والإعلام، مطبعة الكاثوليكية والمعارف، بيروت، 1973م، ص643.

5 عبد العظيم الورزاقى محمد، مناص العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، السنة 2، ص302-303.

6 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، 4140هـ، ص469.

7 الإيقاع: هو جمع الوسائل الصوتية المتقنة التي يستخدمها الشاعر لتدعيم الوزن والقافية.

8 حازم القرطبي، منهاج البقاء وسراج الأدياء، تع: محمد حبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1981، 2م،

ص364.

وهذا بخلاف نظرة عبد القاهر الجرجاني، حيث جعل النظم شاملا لما يتعلق بالألفاظ والمعاني.¹

وعرفه ابن خلدون بأنه المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو الغالب الذي تفرغ فيه.² وهو أيضا الطريقة العلمية التي سلكها المتكلم في تأليف كلامه واختبار ألفاظه أو هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختبار المفردات والتراكيب الكلامية.³

أهم ما قيل في الأسلوب:⁴

يعرف ابن خلدون أسلوب بأنه الصورة الذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب، وأشخاصها ويسوها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصا كما يفعل في القالب .

حازم القرطبي وهو من أبرز البلاغيين والنقاد العرب القدامى فيرى أن الأسلوب هيئة تحصل على التأليفات المعنوية، والنظم هيئة تحصل على التأليفات اللفظية.

السيد قطب، يرى أن الصورة اللفظية الموحية المثيرة للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين هي قوام العمل الأدبي، ويعين بالصورة اللفظية للأسلوب الذي يميز العمل الأدبي، ويتحدث عما يسميه القيم الشعورية والقيم التعبيرية وهو ما يقابل التأليفات المعنوية و التأليفات اللفظية عن القرطبي.

ومن الكتب التي ألغت في علم الأسلوب، كتاب علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته تأليف د. صلاح فضل؛ كتاب مدخل إلى علم الأسلوب د. شكري عباد، والأسلوب دراسة لغوية إحصائية لد. سعد مصفوح، كتاب الأسلوبية والأسلوب تأليف د. عبد السلام المسدي، كتاب علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات تأليف د. محمد كريم.

التهكم:

1 فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م، ص30.

2 ابن خلدون، المقدمة، دار الإحياء للتراث العربي، بيروت، 1408م، ص570.

3، الرزقاني عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرائن: فواز محمد الزمرني، دار الكتاب العربي، ج1، ص304.

4 <https://www.makinateelfikre.com/2019/3/what-is-the-bethinking-of-themethode>

لغة:

تهكمت البشر إذا تهجمت، والمتهكم المحتقر، والتهكم التكبر، والتهكم التبخر بطرا، والتهكم السيل الذي لا يطاق، والتهكم الطعن المدارك، والمتهكم الغاضب والذي يتهجم عليك من شدة الغضب، وقيل المتهكم هو الساخر، والتحكم التهزؤ والاستهزاء والاستحقاق والطعن، وتهكم عليك أي تعدى،¹ وفي تعريف آخر قال ابو زيد: تهكمت: تعبت، وهكمت، وتهكمت تعقت وتهكمت عيرته تهكيما عبته، وعلى هذا يكون التهكم إما لشدة الغضب قد أوعد بلفظ البشارة أو لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك، أو ذكر بفعله عند العقوبة على سبب المعير له. فهذا أصله.²

التهكم اصطلاحا:

التهكم في الاصطلاح هو كلام أخرج على ضد مقتضى الحال، وهو الاستهزاء بالمخاطب.³

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى:⁴

تبدو العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى للتهكم واضحة وذلك من وجهين وهما:

الوجه الأول: إن حاصل المعنى في اللغة الاستهزاء وكذا في الاصطلاح، فإن الضابط له الاستهزاء.

الوجه الثاني: في كلا المعنيين اللغوي والاصطلاحى خروج عن الأصل ومخالفة لمقتضى الحال.

ومع هذا الإنفاق فإن المعنى اللغوي يبقى أعم وأشمل.

التهكم في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة:

1 الأزهرى، تهذيب اللغة، دار الكتب العلمية، 4 نوفمبر 2004م، ط3، ج2، ص228.

2 ابن أبي الأصبغ المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لجنة إحياء التراث الإسلامى، تح: حنفى محمد شرف، 585-654هـ، ص.

3 الرازى المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوى يحيى بن حمزة، مطبعة المقتطف، مصر، ت: 749، 1332هـ، ج3، ص163.

4 أحمد ذياب عنائرة، أسلوب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية، ت. إشراف: د. مصطفى إبراهيم، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، جوان 2005م، مب: 1، مط: 1، ص10.

1. نشأة المصطلح:

"تشير المراجع إلى أن أول من أدخل هذا المصطلح في البديع وعقد له بابا منفصلا في كتاب زكي الدين ابن أبي أصبع المصري المشهور "التحرير والتحبير"، وذكر أنه من مخترعاته، فقدما أشار إليه الفداء (رحمه الله)، وإن لم يسرح بلفظ التهكم وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: [إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم]،¹ قال الإثابة هنا بمعنى العقاب، قد تقول هنا إلى الذي احترم إليك لان أتيتني لآتينك معناه لأعاقبك."²

" وإلى مثل هذا أشار الإمام عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة، أثناء حديثه عن أخذ الشبه من المعقول للمعقول فتكلم عن استعارة الميت للحى، زما قاله في هذا المجال³، كل صفتين تضادتا ثم أريد نقص الفاضلة منهما عبر عن باسم ضدها."⁴

" أما الزمخشري فقد تعرض للتهكم في كشفه في أكثر من موطن من ذلك قوله عند تفسيره، لقوله تعالى5: [وقالوا يا أيها الذي نزل عليك الذكر أنك لمجنون] قال: وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء؛ كما قال فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون⁶. فكيف يعترفون بنزول الذكر وينسبونه إلى الجنون؟. والتفكير في كلامهم هو لاستهزاء، والتهكم مذهب واسع، وقد جاء في كتاب الله مواضع منها"⁷ (فبشرهم بعذاب أليم).⁸

" ولما جاء السكاكي وقعدت علوم البلاغة على يديه وبوت، تعرض للتهكم في مبحث من مباحث الاستعارة تحت عنوان الاستعارة التهكمية، ومعناها عنده هي استعارة اسم أو النقيض للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد ولحاقه. شبه التناسب بطريق التهكم أو التلميح ثم ادعاء احدهما من جنس

1 سورة: ال عمران آية:153.

2 احمد ذياب عنانزة، أسلوب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص20.

3 أسلوب التهكم في القرآن الكريم، عنانزة أحمد دياب، د.ط، د.ت، ص13.

4 المصدر السابق، ص14.

5 سورة الحجر، الآية: رقم2.

6 سورة الشعراء، الآية: رقم 27.

7 عنانزة أحمد دياب، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، دراسة تحليلية بيانية، كلية الدراسات العليا، رسالة دكتوراه، نوقشت بتاريخ 15/05/2005م، ص13.

8 سورة ال عمران، الآية: رقم 21.

الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرنية كقولك فلان تواترت البشارات بقتله ونهبت أمواله وسبي أولاده".¹

2. مرادفات التهكم:

• السخرية:

لغة منه وبه-سخرأ، وسُخرأ، وسخرية، هزئ به.² أي استنقص منه .

والسخرية هي "العنصر الذي يحتوي على توليفة درامية من النقد والهجاء والتلمي والتهكم والدعابة وذلك بهدف التعريض بشخص ما، أو مبدا ما، أو فكرة، أو أي شيء، وتعريضه بالقاء الاضواء على الثغرات و السلبيات ووجه القصور فيه من الإضحاك،³ اذا لسخرية تقوم على التركيز على جوانب التي تعيب الشخص وتعييره بها.

اذا فالسخرية هي المرادف الحقيقي للتهكم، اذ ان التهكم هو السخرية من الناس و السخرية هي التهكم .

• الهزل:

لغة ضد الجد هزل فلان في كلامه مزح فهو مازح. فهو هازل وهزال ويقال هزل في الامر: لم يجد والرجل ماتت ماشيته وافتقر والدابة هزالا اضعفها باساءة القيام عليها،⁴

والهزل العمل يتغلب فيه الهزل على الجد (محدثة) ونوع من التمثيليات يكون اشد اضحاكا وتهريجا من الملهاة (محدثة).⁵

والفرق بين التهكم و الهزل هو ان الهزل المراد به الاضحاك والترفيه لكن التهكم المراد به والغرض منه التوبيخ و التقرير.

1 عنانة أحمد دياب، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، دراسة تحليلية بيانية، كلية الدراسات العليا، رسالة دكتوراه، نوقشت بتاريخ 2005/05/15م، ص15.

2 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، 1429هـ-2008م، باب السين، مادة سَخِرَ.

3 دكتور باهي عبد الله باهي والي، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية في القرآن الكريم، 1439هـ-2018م، ص3.

4 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، 1429هـ-2008م، ص985.

5 المصدر نفسه ص985، مادة الهزل.

● الفكاهة:

الفكاهة فن من فنون الكلام وهي مرادف للدعابة وضدها الجد .

(فكه)-فكها، وفكاهة: كان طيب النفس مزاحوا-منه: تعجب فهو فكه، وفاكه. تفاكه القوم اي تمازحوا.¹

"وفي عرف الادب: صفة المزاح في نادرة، او طرفة، او جملة يتعمد الاديب ذكرها في النص الرصين ليخلق جوا وروحا من الراحة، او الاسلوب الساخر ولذلك غالبا ما تكون بين الاوداء و الاصدقاء وليس لها غرض سوى الاضحاك والضحك، وتقوم الدعابة على اختيار جانب الضعف في الاصدقاء او التركيز على خصلة اشتهر بها الصديق، ومن ثم جعلها ماثرا للسخرية."²

وقيل في التفريق بينهما: "تختلف الدعابة عن التهكم من حيث الغاية والهدف، فغاية التهكم التهذيب و الاصلاح والنقد، بينما الدعابة لايقصد منها الا مجرد المرح و الاضحاك".³

● الاستهزاء:

اصل الكلمة هزأ ومنه هزأ، وهزوءا: سخر ب هاو منهو-الشيء هزأ كسر هو-ابله عرضها للبرد حتى نفقت(الهزاة) الرجل يهزا منه.⁴

والاستهزاء اسماع الاساءة لمن لم يسبق منه فعل يستهزا به بسببه، لتصغير القدر بما يظهر في القول.⁵

● الاستخفاف:

1 المصدر نفسه مادة فكه،ص699.

2 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية،المبحث الرابع: المصطلحات المتعلقة بالتهكم، ص31.

3 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية،ص31.

4 مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط،مادة هزأ،ص947-948.

5 عباس علي الاوسي، اساليب التهكم في القرآن الكريم،ص3

(خفف) الشيء: جعله خفيفاً. ويقال خفف الثوب، رقق نسجه،¹ تخفف الشيء صار خفيفاً ومن الشيء-: أزال بعضه ليقل ثقله،² (استخفه): طلب خفته. ورآه خفيفاً واستفزه-وبه استهانته-أهانته³. وكل هذه المرادفات تصب في معنى واحد الا وهو الاستهزاء و الاستخفاف والتقليل من شان الآخر.

• الهزل الذي يراد به الجد:

"وهو ان يقصد المتكلم مدح انسان او ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب، والمجون المطرب، كما فعل اصحاب النوادر"⁴

3. التهكم عند علماء التفسير:

"حرص المفسرون على تجلية وتحديد هوية التهكم كما نبهوا على كثرة وقوعه في القرآن الكريم، فلا يكادون يبرون بأية استخدم فيها هذا الأسلوب إلا ونبهوا عليه، وبينوا علته ووضحوا صورة التهكم به على حسب ما يقتضيه المقام، وذلك لأن بعض الآيات يكون التهكم فيها واضحاً لا يحتاج إلى جهد كبير للتأمل، ففي هذه الحال تجد أن الكثير من المفسرين يكتفي بالإشارة إلى أن في الآيات تهكماً، وقد يشفع ذلك بشيء من البيان، وذلك مثل قوله تعالى: (فبشره بعذاب أليم)⁵، فالتهكم فيها واضح لأن لفظ البشارة لا يتناسب مع العذاب."⁶

" لكن في مثل قوله تعالى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)؛ فتبدوا صورة التهكم غير واضحة مما يستدعي المفسر إلى قدر أكبر من التوضيح والبيان، فنجد أبا السعود يقول في تفسير الآية: في قوله تعالى: (وما

1 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، 1429هـ-2008م، ص247.

2 المصدر نفسه مادة(خفف)، ص247.

3 المصدر نفسه، مادة (استخفه)، ص247.

4 ابن ابي الصبغ المصري، تحرير التحرير في صنعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق الدكتور حنفي محمد مشرف، باب الهزل الذي يراد به الجد، ص138.

5 سورة ال عمران، الآية: رقم21.

6 احمد ذياب عنائرة، اساليب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية، ص42.

كنت لديهم)،¹ أي: عند الذين اختلفوا تنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحي على طريق التهكم بمذكريه، كما في قوله تعالى: (وما كنت بجانب الغربي...)".²

وعليه نستنتج ان اسلوب التهكم وظف بكثرة في القرآن الكريم على غيره من الاساليب لتميزه وبلاغته، فالتهكم يختلف عن بقية الاساليب من حيث الغرض البلاغي لان التهكم غرضه التوبيخ والتذكير.

مواطن التهكم في السنة النبوية:

أولاً: قوله صل الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".³

قال ابن حجر -رحمه الله- في الفتح: "فليتبوأ: أي فليتحذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان، إذا اتخذ سكناء، وهو أمر بمعنى الخبر، أو التهديد أو التهكم".⁴

"قوله: أو بمعنى التهكم، لأن النار لا تصلح أن تكون سكناء، أي لا يتوفر أو لا يتصور فيها ما يتصور في السكن من الحصول على الأمن والراحة، والوقاية من الأخطار، فلاحظ ابن حجر-رحمه الله- أن هذا اللفظ استخدم هاهنا على غير ما وضع له في الاستعمال، وذلك لتثبيته على أمر معين، وهو: التحذير من الكذب على النبي -صل الله عليه وسلم-".⁵

ثانياً: قوله -صل الله عيه وسلم-: "من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يؤخذ بهزمته يعني شذقيه، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك..."⁶

قال ابن حجر-رحمه الله- قوله ثم يقول: (أنا مالك أنا كنزك)، وفائدة هذا القول: الحسرة والزيادة بالتعذيب حيث لا ينفعه الندم وفيه نوع من التهكم، لأن ما كانت عاقبته هذه، فليس بكنز، فالكنز يدخره الإنسان لينفع به عند حاجته، أما إذا كانت عاقبة الكنز الحصول على العذاب، فلا

1 سورة ال عمران، الآية: رقم 44.

2 احمد ذياب عنائرة، اساليب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية، ص42 .

3 صحيح البخاري، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، مر: د. البغا مصطفى ديب، دار ابن كثير-بيروت، -1407هـ، باب إثم

من كذب على رسول الله -صل الله عليه وسلم-، حديث رقم 107، ج1، ص52.

4 احمد ذياب عنائرة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص43.

5 احمد ذياب عنائرة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص43

6 صحيح البخاري، البخاري أحمد، باب إثم مانع الزكاة، حديث رقم 1338، ج2، ص 508.

معنى للكنز فيه، وبالتالي فإن النبي -صل الله عليه وسلم- استخدم هذا اللفظ يبين سوء مساك هؤلاء الذين يتخذون الأموال ولا يؤدون حق الله فيها.¹

ثالثاً: قوله -صل الله عليه وسلم- "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: احيوا ما خلقتكم."²

"قال ابن حجر-رحمه الله-: وشبه الخلق إليهم إنما هب على سبيل التهكم والاستهزاء."³

وقد استخدم بعض المحدثين هذا الأسلوب في مجال الجرح والتعديل، وذبح عندما يريدون أن يصفوا راوياً معين بصفة من صفات الجرح، فأحياناً لا يصرحون بالك الصفة، ولكن يصفونها بضدها أو نقيضها، ومما ورد شاهداً على ذلك ما ذكره ابن حجر-رحمه الله- في ترجمته أحد الرواة واسمه يونس الصدوق، قال ابن حجر: وهذا إنما قيل له الصدوق على سبيل التهكم.⁴

وفي موضع آخر قال: "عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد: يعني بالصدوق=الكدوب".⁵

4. امثلة عن التهكم:

"إذا كان الرجل قبيح الخلقة، مشوه الصورة، قيل في الكناية عنه: له قرابات في اليمن، لان القروء تكثر بها."⁶

"ونظر بديع الزمان ابو الفضل الى انسان بارد طويل فقال: قد اقبل ليل الشتاء: لانه بارد و طويل"⁷.

وردت السخرية في القرآن الكريم في عدة مواضع وعدة آيات:

- 1 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص43.
- 2 صحيح البخاري، باب عذاب المصورين يوم القيامة، حديث رقم: 5607، 5، 2220.
- 3 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص44.
- 4 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص45.
- 5 احمد ذياب عنائزة، اساليب التهكم في القرآن الكريم -دراسة تحليلية بيانية، ص45.
- 6 ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة و شرح و تحقيق دكتورة عائشة حين فريد، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 1998م، باب الرابع (في الكنايات عن المقابح والعبات والمثالب)، فصل 1 (القبح و السواد)، ص91.
- 7 المصدر نفسه، باب الرابع (في الكنايات عن المقابح والعبات والمثالب)، فصل (في الثقل و البرد)، ص93.

قوله تعالى: (ويضع الفلك وكلما مر عليه ملاً من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون).¹

"ونفذ نوح امر ربه ، وظل يياشر صناعة السفينة وكلما رآه جملة من اشراف قومه اثناء صنعتها واجهوه بالاستهزاء والسخرية منه، فقد عهدوه داعيا الى توحيد الله وعبادته، فاذا هو قد انصرف عن الدعوة واشتغل بقطع الاشجار وتهية الالواح وضم بعضها الى بعض ولم يدركوا السر في هذا التغيير".²

(قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون).³

"لما رأى نوح قومه يسخرون من اشتغاله ببناء السفينة، هددهم بقوله ان تسخروا منا اليوم، فإننا عن قريب نجيب عل سخرتكم بالفرح بهلاككم، وتخليص الارض من شروركم وجهلكم في حق ربكم وحق انفسكم".⁴

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ، ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾⁵.

"ففي نسبة الفعل الي كبير الاصنام، تعريض بان الصغار لا تصلح ان تكون آلهة: لانها لم تستطع ان تدفع عن نفسها، وبان الكبير لا يصلح ان يكون الها: لعجزه ان ينهض بمثل هذا العمل."

" وسخرية إبراهيم-عليه السلام- من الأصنام كقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ، مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾⁶ ، والسخرية من لوط -عليه السلام-، في قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾⁷

1 سورة هود، الآية: رقم 38.

2 لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، اشراف مجمع البحوث القرآنية، سورة هود الآية 38، ص 192.

3 سورة هود الآية 38.

4 لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، اشراف مجمع البحوث القرآنية، سورة هود الآية 38، ص 192.

5 سورة الانبياء، الآية 63.62

6 سورة الصافات، الآية: رقم 91-92.

7 سورة النمل، الآية: رقم 56.

" والسخرية من شعيب -عليه السلام-، كقوله تعالى: ﴿أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾¹

" والسخرية من موسى -عليه السلام-، كقوله تعالى "على لسان فرعون": ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾²

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ، أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ، اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾³
أنواع التهكم:

التهكم اللفظي:⁴ استعمل القرآن كثيرا من الألفاظ في مجال السخرية، ليست أصلا من ألفاظها ولعلها تكون ألفاظا للمدح بدل الذم منها:

التذوق والتذوق: وهذه اللفظة في مجال السخرية تستعمل عادة للتلذذ بأطيب الطعام والشراب والحياة الرغيدة المنعمة وقد جاءت هنا للتكبيت والتوبيخ والهزاء والسخرية أمثال ذلك، قوله تعالى: (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم.)⁵ فقد هزم بنو النضير "اليهود" بعد قليل من هزيمة مشركي مكة في غزوة بدر أو أي طعم ذاقوا، فقد طردوا من ديارهم وأخذت أموالهم وبساتينهم وديارهم غنيمة للمسلمين.

وقوله تعالى في الكافرين الذين تستوي جلودهم حتى تنضج كما ينضج اللحم المستوي ففي الدنيا يتذوقون الطعم اللذيذ بهذا اللحم وفي الآخرة يذوقون العذاب ، قال تعالى: ﴿كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾⁶، وأما الذي ينحل في الدنيا فلا يتصدق ولا يزكي ماله ويكنز الذهب والفضة ويتلذذ في تكديسه فيذوق العذاب كيا في

1 سورة هود، الآية: رقم 87

2 سورة الشعراء، الآية: رقم 27.

3 سورة الطور، الآية: رقم 13.

4 مقال التهكم في القرآن الكريم، عثمان قدرى مكاني، 2021/06/07 الموقع: noor-ebook.com

5 سورة الحشر، الآية: رقم 15.

6 سورة النساء، الآية: رقم 56.

جبهته وجبينه وظهره ويسمع التوييح من الملائكة هو وأمثاله من أهل الشح والبخل، يقول تعالى في ذلك: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^{2.1}

السخرية المعنوية:³

" إن الكفار يسيئون لأنفسهم حين يكفرون، فحين يرسل المولى تعالى رسله إليهم فيكذبونهم يحق عليهم العذاب فإذا أحسوا بالخطر وتيقنوا نزوله هربوا منهزمين، فتقول الملائكة لهم استهزاء لا تولوا هارين من نزول العذاب وعود والى دياركم وما كنتم فيه من النعمة والسرور وهذا كله من باب السخرية والتوييح⁴، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ، لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾⁵."

" والمشركون كانوا يظنون أن الله ليس بناصر عبده محمدا -صل الله عليه وسلم- ولكن الله يؤكد نصره له، وتأيدته لحبيبه ورسوله الكريم، فإن كان هذا التأيد من الله لنبيه يغيظ المشرك والكافر فليغتظ، ليمدد بجبل إلى السقف، وليشقق نفسه، لعله يجد الشفاء من غيظه، إنه تهكم شديد، وهزة قوي من المشركين⁶.

يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾⁷.

1 سورة التوبة، الآية، رقم 35.

2 مقال التهكم في القرآن الكريم، عثمان قدرى مكانسي، 2021/06/07 الموقع: noor-ebook.com

3 المصدر نفسه.

4 نفسه، عثمان قدرى مكانسي.

5 سورة الأنبياء، الآية رقم: 11.

6 مقال عثمان قدرى.

7 سورة الحج، الآية رقم: 15.

ويصف الله تعالى اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة ليعملوا بها، فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها، كالحمار الذي يحمل الكتب الكثيرة ولا ينتفع بها، وهل هناك لأشد سخرية من هذا؟¹، قال تعالى في ذلك: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين).²

وترى هؤلاء المجرمين يسحبون في النار على وجوههم لينالوا الجزاء بما اقترفت أيديهم والملائكة تسخر منهم وتوبخهم،³ في قوله تعالى: (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر).⁴ والأمثلة وافرة تصب في هذا الباب.

والهدى: "عادة ما يأتي لفظهما في الوصول إلى الحق والإيمان وسبل السعادة"⁵، كقوله تعالى: (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده)⁶؛ لكنها تأتي هنا بمعنى تدفعه وترديه⁷، ومثال ذلك قوله تعالى: (كتب أنه من تولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير)⁸؛ وقوله تعالى في المشركين الضالين حين تدفعهم الملائكة وتسوقهم إلى النار، وبئس القرار⁹، يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك: (فأهدوهم إلى صراط الجحيم).¹⁰

البشرى: ويكون عادة لذف الخبر السعيد من ثواب جزيل ومغفرة من الله ورضوانه،¹¹ كقوله تعالى: (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم).¹²

1 المقال نفسه.

2 سورة الجمعة، الآية رقم: 5.

3 مقال عثمان قدرى مكانسي.

4 سورة القمر الآية رقم: 48.

5 مقال عثمان قدرى مكانسي.

6 سورة الأنعام، الآية رقم: 90.

7 مقال عثمان قدرى مكانسي.

8 سورة الحج، الآية رقم: 4.

9 مقال عثمان قدرى مكانسي.

10 سورة الصافات، الآية رقم: 23.

11 مقال عثمان قدرى مكانسي.

12 سورة يس، الآية رقم: 11.

وقال اليهود: نحن أحباب الله، فقال رسول الله أمثالا لأمر الله إن كنتم صادقين فادعوا على أنفسكم لتنتقلوا من دار الفناء لنعيم الآخرة... ولكنهم كذابون لا يتمنون الموت، لأنهم يعتقدون أنهم أعداء الله ومصيرهم النار وبئس القرار، لو كانوا أحباب الله لما عذبهم الله بذنوبهم،¹ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعْمَتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.²

وقال تعالى: قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ.³

أما المنافقون يحالف قولهم ما في قلوبهم، يكذبون ولا يقولون حقيقة ما في نفوسهم، ويحلفون على الكذب مخاوفهم كثيرة ورائحتهم زعمت النفوس، فحين يأتون رسول الله -صل الله عليه وسلم- يشهدون كاذبين في شهادتهم- أن محمدا عليه الصلاة والسلام رسول الله والله تعالى يؤكد رسالة نبيه- ، ويشهد أن لمنافقين كاذبون في قولهم.⁴

هؤلاء المنافقين يجعلون من الحلفان ستارا لكفرهم، فيغتر بهم المؤمنون ويصدقونهم، ويعتقدون أنهم صاروا من المسلمين، وعم في الحقيقة وبال عليهم، وهذه الازدواجية تضر بالمسلمين،⁵ يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ، اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.⁶

هيئاتهم ومناظرهم تعجب الناظر، فصاحتهم وطلاقة لسانهم تعجب السامع، لكنهم أشباح بلا روح، وهياكل دون مقابر، لا خير فيهم، فهم والخشب المسندة إلى الجدار سواء، جناء خوافون تطيش عقولهم إن سمعوا صيحة الحرب، أو سمعوا نداء عاديا... هؤلاء هم أعداء الحقيقيون فلا يجوز أن تغتر

1 مقال عثمان قدرى مكاسي.

2 سورة الجمعة، الآية رقم: 6-7.

3 سورة المائدة، الآية رقم: 18.

4 مقال عثمان قدرى مكاسي.

5 نفس المقال.

6 سورة المنافقون، الآية رقم: 1.

بهم، أخذهم الله وأبعدهم عن رحمته؛¹ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.²

ومن السخرية الشديدة ما وصف به الكفار من أنهم:³

" أهل الأهواء والضلالات مثل الأنعام السارحة بل أضل منها، لأن الأنعام والبهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد، وتعرف من يحسن إليها، لكنهم هم لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم"⁴، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾.⁵

ولعل السخرية الواضحة من المنافقين كان الضرب المهين، فالقران يصور مهانة المنافقين حين تأتي الملائكة تنقيض أرواحهم، ومعهم مقاطع من حديد، يضربون بها وجوههم وظهورهم ، استهانة بهم واحتقاراً لشأنهم، لأنهم سلكوا طريق النفاق، وكرهوا ما يرضي الله تعالى فلم يقبل منهم ما عملوا من خير في حياتهم الدنيا.⁶ فالله تعالى لا يقبل من العمل الصالح إلا ما رافق الإيمان، قال تعالى: (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك أنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وأحبطت أعمالهم).⁷

ثم انظر معي إلى كلمة "نبذ" التي تفيد الطرح والإجمال في قوله تعالى يسحر من الغريق فرعون⁸: قال تعالى: (فأخذناه وحنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)⁹، إنها نبذة لمن لا قيمة له، نبذة

1 مقال عثمان قدرى مكانسي.

2 سورة المنافقون، الآية رقم:4.

3 نفس المقال.

4 نفس المقال

5 سورة الفرقان، الآية رقم:43-44.

6 مقال عثمان قدرى مكانسي.

7 سورة محمد، الآية رقم: 27-28.

8 مقال عثمان قدرى مكانسي.

9 سورة القصص الآية رقم:40.

الاحتقار والتهكم بمن قال لأنل ربكم الأعلى، وتكبره على الناس وتجبره... تسأل الله تعالى العفو والعافية وحسن الختام.¹

الالفاظ المتضمنة معنى التهكم:

من ذلك الاستهزاء والسخرية،² في قوله تعالى: (ولقد استهزاء برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون) أي واستهزؤوا بك ولقد استهزأت رسل من قبلك، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون، أي وعيد الله وإيثار السخرية على الاستهزاء لأن الاستهزاء هو إسماع الإساءة، لمن لم يسبق منه فعل يستهزأ به بسببه لتصغير القدر بما يظهر في القول والاستهزاء ليس من فعل الأنبياء".³

" ونحوه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾⁴؛ بقوله "أنا معكم" قلت هو تأكيد له، لأن قوله إنا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون ردا للإسلام ودفاعا له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم أنا معكم، فقالوا ما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون".⁵

" واللعب واللهو: في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾⁶ أي اتخذوا دينهم الدين كلفوه ودعوا إليه فهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث سخروا واستهزؤوا به⁷، والفرق بين اللهو واللعب أن كل لهو لعب وليس كل لعب لهو".⁸

1 مقال عثمان قدرى مكاسي.

2 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن الكريم، المصدر السابق، ص 40.

3 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 40.

4 سورة البقرة، الآية رقم: 76.

5 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، نفسه، ص 40.

6 سورة الأنعام، الآية رقم: 70.

7 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 38.

8 نفس المصدر، ص 39.

" ويغيضون في قوله: (فسيغيضون إليك رؤوسهم)¹، أي فسيفرعون ويحركون استهزاء منهم² وكل شيء في القرآن من ألفاظ السخرية يراد به الاستهزاء عدا قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾³ فإنه أراد أعوانا وخداما.⁴"

" والهمزة واللمزة في قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة)⁵، وقيل الهمزة المعتاب باليد ويهمز جليسه بكسر عينه جهرا وللهمزة المعتاب باللسان ويظهر الغيب وسرا بالحاجب والعين والهمزة اللمزة الذي يلقب إنسانا وينبئه على معايبه ويدخل في من يحاكي الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم وجميع هذه الوجوه متقاربة راحجه إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب سواء كان على مضحك أم لا.⁶"

" ويخوضون في قوله تعالى: (وإذا رأيت الذين في آياتنا فأعرض عنهم)⁷، في الاستهزاء بها والطعن فيها.⁸"

" والمكر في قوله: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾⁹، استهزائهم وكذبهم.¹⁰"

" وتضحكون في قوله تعالى: أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿¹¹ أي تضحكون منه استهزاء به¹²، والاستهزاء مشركي قريش في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

1 نفسه، ص 39.

2 علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 38.

3 سورة الهمزة، الآية رقم: 1.

4 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 38.

5 سورة الهمزة، الآية رقم: 1.

6 عباس علي الأوسي؛ أساليب التهكم، ص 38.

7 سورة الأنعام، الآية رقم: 68.

8 سورة يونس، الآية رقم: 21.

9 سورة المطففين، الآية رقم: 29.

10 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 31.

11 سورة النجم، الآية رقم: 59-60.

12 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص 31.

مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ¹ بفقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب،² وكذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾³.

"وفكهين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾⁴ كان مشركي قريش يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم ويضحكون ، وإذا مروا بهم تغامزوا وأشاروا بأعينهم ملتذين بذكرهم والسحرية منهم."⁵

أساليب التهكم:

التهكم الصوتي: إثمار الاستعمال الصوتي [استثمار القيم التعبيرية للأصوات في رسم المشاهد الدلالية، فالاختيار الدقيق للأصوات وتراكيبها منحه قوة التأثير، والتمكين في المتلقي، قصد استجابته وإذعانه.

" والتهكم من المشاهد الدلالية السياقية التي زخر بها القرآن الكريم،⁶ قال تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكِ مُهْطِعِينَ، عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾⁷ مشهد لإسراء المشركين إلى سماع الرسول- صل الله عليه وسلم-، وهو يتلو القرآن، فيغير ما رغبة في الإهداء بما يسمعون، ثم تفرقهم حوالبه جماعات، تهكم خفي بحركتهم المريبة، والمهطع هو الذي يسرع الخطى ماداً عنقه ويصوب رأسه مقبلاً يبصره على الشيء لا يقلع عنه؛⁸ وفي التعبير تصوير لهذه الحركة والهيئة التي تتم بها.⁹ فيشعر المتلقي بالتهكم من حالهم ، وهو ينتقل من صوت الميم الشفوية التي تسمع بهمس الهاء المنبئ بالريبة وما يضمرة المشركون، ثم صوت الطاء التي جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيره،

1 سورة المطففين، الآية رقم:29.

2 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص31.

3 المصدر نفسه ص31.

4 علي الأوسي، نفس المصدر، ص31.

5 سورة المطففين، الآية رقم:30.

6 عباس علي الأوسي ، أساليب التهكم، ص3.

7 سورة المعارج، الآية رقم: 36-37.

8 عباس الأوسي، أساليب التهكم، ص3.

9 المصدر نفسه ص 3.4

وهي الجهد، والشدة والاستعلاء والإطباق والصمت،¹ ثم مد وغنة النون وتنغيم الاستفهام وصياغة في تجسيم إهطاعهم والتهكم بهم والتعجب من حالهم.²

" وفي القرآن الكريم لفظة هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا وفي موقعها منه هي كلمة طيزي، في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾³، فإن حسنها في تعلم الكلام من أغرب الحسن ولأعجبه، جاءت في سياق الإنكار على العرب وعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهم البنات،⁴ فقال الله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾.⁵

" فقرابة اللفظ أشد ملائمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها الله سبحانه فالأصوات في الآية الأولى صورت الإنكار وفي الثانية صورت في هيئة النطق التهكم في زعمهم وأوحى رجالة المتهم في إنكاره من إحاطة اليد والرأس بهاذين المدينين إلى الأسفل والأعلى.⁶

التهكم الصيغي⁷:

" لكل كلمة دلالتها المعجمة التي تبعث من مادتها اللغوية وما تكتسبه من قيم ثانوية من بنيتها الصيغية وما يمنحها تضافرها من الوظيفة النحوية وعلاقتها الصياغية الداخلية والخارجية، من دلالات إيجابية في المواقف المتباينة".⁸

" **ميم الجمع:** فالميم في أرسلتم في قوله تعالى: (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون)⁹ وسيلة شكلية للتعبير عن معنى المبني الصرفي، وظاهر الآية ينبئ أن مترفي كل قرية قالوا لرسولهم ذلك، فخطاب الجمع هنا على سبيل التهكم.¹

1 لعباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن، ص4.

2 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص4.

3 سورة النجم، اليوم رقم:22.

4عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، ص4.

5 سورة النجم، الآية رقم:22،21.

6عباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن، ص4.

7 المصدر نفسه، ص4

8 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن، ص7.

9 سورة سبأ، الآية رقم:34.

" اسم الفاعل: فإثار صيغة اسم الفاعل في قوله تعالى (وإذ قالت أمة منه لم تعضون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا، قالوا معفرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون).² مع أن كلا من الهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحقيقها وتقررهما البتة كأثما واقعات وإنما قالوه مبالغة فإن الوعظ لا ينجح فيهم، أو ترهيبا للقوم أو سؤال عن حكمة الوعظ ونفعه.³"

" المبالغة: فصيغة المبالغة عجولا، في قوله تعالى: (ويدعو الإنسان بالشر دعائه بالخير، وكان الإنسان عجولا)،⁴ تحتمل أن تكون وصفا للكافر، وأن يدعو بالعذاب ويبالغ في استعجاله استهزاء كما يدعو بالخير إن مسته الشدة".⁵

" أفعال: مثاله صيغة التفضيل خيرا لهم وأقوم، في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾⁶ فيحتملان أن يكونا على باهما واعتبار أصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم، أو على سبيل التهكم، وليس المقصود بيان الزيادة، بل الغرض التشريك بينهما في شيء معصوم انتفاء وإما بمعنى اسم الفاعل فلا حاجة إلى التقدير منه.⁷"

" وأقرب في قوله تعالى: (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه، لبئس المولى و لبئس العشير)،⁸ على سبيل التهكم من سوء حال معبود الكفرة إذ لا أثر للنفع أصلا، فضره أقرب من نفعه.⁹"

" وفي ذكر أشد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

1 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب-القاهرة، ط4، نقلا عن: أساليب التهكم في القرآن الكريم، علي الأوسي.

2 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، علي الأوسي، ص6.

3 علي الأوسي عباس، أساليب التهكم في القرآن، المصدر السابق، ص06.

4 سورة الإسراء، الآية رقم:11.

5 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن، ص7.

6 سورة النساء، الآية رقم:46.

7 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم، المصدر نفسه، ص07.

8 سورة الحج، الآية رقم:13.

9 عباس علي الأوسي، نفسه، ص08.

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ¹. تهكم بهم إذ كانوا مغترين بالدنيا ومفتخرين لمتاعهم مع ضعف حالهم وضيق عطفهم، إذ لا مناسبة يعتد بها بين كفار مكة الضعفاء قليلي العمارة، والذين من قبلهم معروفين بالنهاية في القوة وكثرة العمارة.²

"التوبيخ النحوي: لا يمكن تحديد قيمة المفردة إلا من خلال التركيب الذي يتخذ أشكالا بنائية مخصوصة، فالاختيار اللفظة ووضعها في أنساق بنائية وضعها فنيا مقصودا لتفاعل الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية والدلالية في الحقيقة تعتمد على العلاقات السياقية."³

1 سورة الروم، الآية رقم: 09.

2 عباس علي الأوسي، أساليب التهكم في القرآن الكريم، عباس علي الأوسي، ص 9.

3 علي الأوسي، المصدر السابق، ص 9.

الفصل الثاني

سورة الدخان

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

لغة:

قال ابن فارس "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسر يقال فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسر نظر الطبيب إلى الماء وحكم فيه.¹

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري هذا الكلام يحتاج إلى فسر وتفسيره وفسر القرآن وفسر ونظر الطبيب لتفسر المريض، وهي ماء المستدل به على علته كذلك كل ما ترجم شيء فهو تفسرته،² فكلما يكشف الطبيب على المريض بالنظر فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها ومعناها والسبب لذي نزلت فيه.³

اصطلاحاً:

قال الإمام الزركشي: "التفسير هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على النبي محمد -صل الله عليه وسلم- وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو، والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه، ولقراءات ويحتاج معرفة أسباب النزول "الناسخ والمنسوخ".⁴

وقال الإمام السيوطي: "التفسير علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها وحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها خاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها ومحملها وتفسيرها وحلالها وحرامها ووعدتها ووعيدها وأمدتها ونهايتها وعبرها وأمثالها.⁵

قال أبو حيان: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تعمل عليها حالة التركيب وتبيان ذلك".⁶

1 ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ف.س.ر)، دار الجيل، ط1، 1891م، ج4، ص504.

2 الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م، ج2ن ص22.

3 البغوي، معالم التنزيل، تح: خالد عبد الرحمن، حوار المعرف، بيروت-لبنان، ط1، 1406-1986م، ج1، ص7.

4 الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط1، 1376هـ، ج1، ص13.

5 السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تح: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، 1416هـ-1996م، ص475.

6 أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ج1، ص121.

قال ابن منظور. " (فسر) الفسر البيان، فسر الشيء، يفسره بالكسر وتفسره بالضم، فسرا وفسره إبانة الفسر وكشف المغطى والتفسير كشف المواد عن اللفظ المشكل واستفسرته كذا أي سألته أن يفسر لي.¹"

وعرف التفسير بأنه " الاستبانة والكشف و العبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل.²"

التعريف بسورة الدخان:

" يشبه إيقاع هذه السورة المكية بفواصلها القصيرة، وقافيتها المتقاربة وصورها الفنية، وضلالها الموحية، يشبه أن يكون إيقاعها مطارق على أوتار القلب البشري الممدود.³"

" ويكاد سياق السورة أن يكون كله وحدة متماسكة ذات مظهر واحد تشد إليه خيوطها جميعا سواء في ذلك القصة ومشهد القيامة ومصارع الغابرين والمشهد الكوني، والحديث المباشر عن قضية التوحيد والبعث والرسالة فكلها وسائل ومؤثرات لإيقاظ القلب البشري لاستقبال حقيقة الإيمان حية نابضة، كما بينها هذا القرآن في القلوب.⁴"

" وأول نص ورد عن النبي -صل الله عيسه وسلم- في سورة الدخان، عن زيد بن حارثة أن الرسول صل الله عليه وسلم قال لابن الصياد: "إني قد خبئت خبئا فما هو خبأ له رسول الله سورة الدخان فقال هو الدخ فقال احسأ ما شاء الله كان ثم انصرف".⁵

" وتبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة وفيها يفرق كل أمر حكيم رحمة من الله بالعباد، وإنذارا لهم وتحذيرا، ثم تعريفا للناس بربهم رب السماوات والأرض وما بينهما وإثبات الوجدانية، وهو المحيي المميت، رب الأولين والآخرين.⁶"

1 ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص128.

2 المصدر نفسه، ص11.

3 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط8، 1979م، ص3751.

4 سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق، ص37-52.

5 أبي الفداء إسماعيل القرشي عماد الدين، تفسير ابن الكثير، دار ابن الجوزي، السعودية، سورة الدخان، ص3418.

6 سيد قطب، في ظلال القرآن، ص37-51.

"قول الإمام القرطبي في تعريف سورة الدخان مكية باتفاق قوله تعالى: (إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا)، وهي سبعة وخمسون آية وقيل تسع"،¹ وفي "مسند الدارمي عن أبي رافع قال: "من قرأ الدخان في يوم الجمعة أصبح مغفورا له"² و"زوج من حور العين." رفعه الثعلبي من حديث أبي هريرة أن النبي صل الله عليه وسلم قال: "من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك."³

وعن أبي أمامة قال: "سمعت النبي يقول من قرأ جم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة."⁴

" يقول السيد قطب: "تبدأ السورة بالحديث عن القران وتنزيله في ليلة مباركة وفيها يفرق كل أمر حكيم رحمة من الله بالعباد، وإنذارا لهم وتحذيرا، ثم تعريفا للناس برهم رب السماوات والأرض وما بينهما ثم يضرب هذا الحديث فيتناول شأن القوم (بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ) ويعالجهم بالتهديد المرعب جزاء الشك واللعب."⁵

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ودعائهم بكشف العذاب عنهم،⁶ وسنقوم بذكر أقوال المفسرين في كلمة "الدخان".

" جاء في كتاب السيد قطب يقول فيه: "قد اختلف السلف في تفسير آية الدخان فقال بعضهم أنه دخان يوم القيامة وإن التهديد بارتقابه كالتهديد المتكرر في القران أنه آت ترقبوه، ويترقبه رسول الله وقال بعضهم بل هو قد وقع فعلا كما توعدتم به ثم كشف عن المشركين بدعاء الرسول".⁷

"بدخان مبين" أي جذب ويقال أنه الجذب والسنون أي دعا النبي-صل الله عليه وسلم فيها على مضر، فكان الجائع يرى فيها بينه وبين السماء دخان، ومن شدة الجوع يقال: بل قيل للجذب دخان

1 الزمخشري، الكشاف، ج3، ص499، ذكر: ابن عطية في المحرر الوجيز، ج5، ص68، وابن الجوزي، زاد الميسر، ج7، ص336.

2 أخرجه: الترمذي، 2889، وقال هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

3 أخرجه: الترمذي، 2888، وقال هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

4 أخرجه: الطبراني، الكبير، 2026، قال الهيثمي في الجمع 1812، فيه فضال لمن.

5 سيد قطب، في ظلال القرآن، ص35

6 السيد قطب، في ظلال القرآن، ص37، 51.

7 المصدر نفسه، ص37، 57.

لبس الأرض وارتفاع الغبار فشبه ذلك بالدخان، وربما وضعت العرب الدخان في موضع الشد إذا علا يقال كان ينسى أمر ارتفع له دخان".¹

"قال رسول الله - صل الله عليه وسلم- ك"لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم، والدجال وثلاثة صنوف ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس معهم حيث يأتوا وتقبل معهم حيثما قالوا".²

"قال حذيفة-رضي الله عنه-: يا رسول الله وما الدخان؟ فقال رسول الله: هذه الآية: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصبه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج من منخره وأذنيه ودبره".³

أقوال جملة من المفسرين في هيئة الدخان:

"جاء في مسند من أسباب النزول: "قال يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام".⁴

وفي كتاب سيد قطب قال أن الدخان هو الجذب، ويقال أنه الجذب والسنون التي دعا النبي -صل الله عليه وسلم- على مضر، فكان الجائع يرى فيها بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، يقال بل قيل أن الجذب لبس الأرض وارتفاع الغبار فشبه ذلك بالدخان وربما وضعت العرب الدخان في موضع الشر".⁵

أسباب التنزيل:

"اخرج البخاري عن ابن مسعود قال: ان قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه و سلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم القحط حتى اكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر الى السماء

1 الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير، تفسير غريب القرآن، 1182هـ، الدال المضمومة، ص162.

2 ابن كثير، تفسير ابن كثير، الدخان، ص 3421.

3 المصدر نفسه، ص3420.

4 الوادعي أبي عبد الرحمن مقبل، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة صفاء الأثرية، ط1425، 2هـ-2004م، ص203.

5 سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3751.

فيرى ما بينه و بينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله (فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين) فاتى رسول الله فقال يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى فسقوا فنزلت (انكم عادون) فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون)¹

"واخرج سعيد بن منصور عن ابن مالك قال: ان ابا جهل كان ياتي بالتمر و الزبد فيقول: تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فنزلت (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم)²

واخرج الاموي في مغازيه عن عكرمة قال لقي رسول الله ابا جهل فقال: ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى لك ثم اولى لك (قال فنزع ثوبه من يده فقال: ماتستطيع لي انت ولا صاحبك من شيء لقد علمت اني امنع اهل بطحاء وانا العزيز الكريم فقتله الله يوم بدر واذله وعيره بكلمته و نزل فيه (ذق انك انت العزيز الكريم)³

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ) الى قوله تعالى (..إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ). حدثنا⁴ أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق، قال: قال عبد الله، إنما كان هذا الآن قريشا لما استعصوا على النبي- صل الله عليه وسلم- دعا عليهم بسنين كسنين يوسف فأصابهم القحط والجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها، كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ قال فأتى رسول الله فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت قال: مضر؟ إنك لجريء، فاستسق الله لمضر فاستسقى فسقوا فنزلت ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ .

قال عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: أي يوم بدر.⁵

1 السيوطي جلال الدين، أسباب النزول المسمى لباب النقول، ع911هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1422هـ-2002م، ص230.

2 السيوطي جلال الدين، أسباب النزول المسمى لباب النقول، ع911هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1422هـ-2002م، ص230

3 المصدر نفسه، ص230

4 صحيح البخاري، البخاري، ج10، ص192.

5 أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص203.

وفيه 1 جاء إلى عبد الله رجل فقال تركت في المسجد رجلا يفسر القرآن برأيه يخص هذه الآية: (يوم تأتي السماء بدخان مبين)، قال يأتي الناس يوم القيامة دخان فيأخذ بأنفسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله: من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به. الله أعلم²

تفسير الآيات العشر الأولى من سورة الدخان:³

"ابتدأت السورة بالقسم أي قسم القرآن على القرآن فأقسم الله بالكتاب المبين لكل من يحتاج إلى بيانه أنه أنزله في ليلة مباركة" أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر فأنزل "أفضل الكلام في أفضل الأيام والليالي على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام لينذر به قوما عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا من هداه ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والأخروي ولهذا قال ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا﴾ أي: هي تلك الليلة الفاضلة التي نزل فيها القرآن ﴿يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدره شرعي حكم الله به.⁴

" وهذه الكتابة والفرقان الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وآجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم."⁵

"ثم إن الله تعالى وكل كل ملائكته تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا وكل به كراما يكتبون ويحفظون عليه لأعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة."⁶

1 الحديث أخرجه مسلم، ج 17، ص 141.

2 أبو عبد الله، الصحيح المسند، المرجع السابق، ص 204.

3 ناصر السعدي عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 909.

4 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 738.

5 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 739.

6 المصدر نفسه، 739.

"وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتناؤه تعالى بخلقه ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ، للرسول ومنزليين للكتب والرسول تبلغ أوامر المرسل وتخبر بأقداره "رحمة من ربك" ، إن لإرسال الرسول وإنزال الكتب رحمة رب العباد بعباده." ¹

"(إنه هو السميع العليم) أي: يسمع جميع الأصوات ويعلم الأمور الظاهرة و الباطنة وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم الله بذلك ومن عليهم فله تعالى الحمد والشكر." ²

" ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ³ أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه لما يشاء(إن كنتم موقنين) أي: عالم بذلك علما مقيد للجهتين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق لذلك قال(لا اله إلا هو) أي: لا معبود إلا وجهه،(يحيي ويميت) أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والأمانة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم، إن خيرا فخير إن شرا فشر، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ ⁴ أي: رب الأولين والآخريين مريهم بالنعم الدافع عنهم النقم." ⁵

"فلما قرر الله سبحانه وتعالى ربوبية وألوهية لما يوجب العلم التام ويدفع الشك أخير، أن الكافرين مع هذا البيان: (في الشك يلعبون) أي: منغمرين في الشكوك والشبهات غافلون عما خلقوا له قد انشغلوا باللعب الباطل الذي لا يجدي،(فارتقب) أي انتظر العذاب فإنه قرب وكان أوانه، ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ⁶، أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم هذا عذاب أليم." ⁷

" واختلف المفسرين في المواد بهذا الدخان فقليل أنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من الجرمين يوم القيامة وإن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر بين ينتظرهم ذلك اليوم." ⁸

1 ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص739.

2 ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص738.

3 سورة الدخان، الآية: رقم07.

4 الدخان، الآية: رقم08.

5 ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص740.

6 سورة الدخان، الآية: رقم11.

7 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص910.

8 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص910.

"﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: أن ذلك بالنسبة إليهم وإلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة وقيل أن المراد بذلك أن ذلك من اشتراط الساعة، وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منه كهيئة الدخان."¹

التهكم في سورة الدخان:

"قوله عز وجل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾² المخاطب بهذه الآية هو أبو جهل، فقد ورد في سبب النزول أن أبا جهل قال "يتوعديني محمد والله لأنا أعز من بين جليلها"³.

"وفي رواية أخرى أن النبي-صل الله عليه وسلم- لقي أبا جهل فقال: " أن الله أمرني أن أقول لك، أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى، قال: فنزع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع أنت إلي ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أضع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته فنزل فيه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾"⁴.

" فالخطاب موجه لرأس الكفر والطغيان وسياق الآيات التي قبلها كله يتحدث عن العذاب حيث يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾⁵؛ والسامع يفهم منه أن كل ما سيأتي فيها يتعلق بهذا الزعيم، لا بد وأن عذابا وإخلالا، قياسا على ما سبق، ولكن يفاجأ لأن الأسلوب يأخذ مجراه النقيض من السابق، وهذا التعبير يتضمن في ظاهره رفقا وتكريما."⁶

"من الناحية الأولى: لفظة "ذق"، ففيه رقة ولطف حيث أنه سيعمل في اختيار طعم الأشياء ذاق الطعم."⁷

1 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص911.

2 سورة الدخان، الآية: رقم49.

3 الواحددي، أسباب النزول، ص208.

4 المرجع نفسه، ص268.

5 سورة الدخان، الآية: رقم47-48.

6 الواحددي، أسباب النزول ص210.

7 عنانزة أحمد دياب، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، ص68.

والذي زاد من وقع هذه الإهانة اقترانها بأسلوب السخرية في قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، وهو خطاب موجه لرأس الكفر والطغيان وسياق الآيات التي قبلها كله يتحدث عن العذاب حيث يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُوبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾؛ والسامع يفهم منه أن كل ما سيأتي بعده، لا بد أن يكون عذاباً وإخلاقاً لهذا الزعيم، قياساً على ما سبق.

ولكن يفاجأ لأن الأسلوب يأخذ مجرى النقيض حيث يقال له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، وهو أمر لافت للنظر ويدعو إلى التوقف والتأمل إذ كيف يصفه الله بالعزة والكرامة وهو في وسط الجحيم يصب على رأسه من عذاب الحميم، فهو في أقصى درجات الذل والهوان، ولا يستقيم هذا الذل مع وصفه بالعزة والكرامة، إذ أنهما متناقضان فدل ذلك على أن الكلام ليس مراد به حقيقة، إنما هو ضرب من السخرية الموجهة، استخدمت فيها ألفاظ الإجلال في موضع التحقير والإهانة، لتوبيخ هذا الطاغية، وتقريعه على ما كان يدعيه في الدنيا من عزة وكرامة على قومه.¹

ومما لفت انتباهنا هو دلالات كلمة ذق، فأردنا أن نخصص لها مساحة، فهناك من قال: "فالذوق مستعار للإحساس والإدراك للدلالة على شدة مقاسات العذاب حتى كأنه يذوق بلسانه كما يذوق أي طعام، والمبالغة في السخرية والإهانة لهذا الأثيم والتحقير من شأنه وهو الغرض من الأمر ذق".² من الناحية الثانية: أسلوب التأكيد والقصر فقد أكد نسبة العزة والكرامة إلى هذا الزعيم بلفظ "إن" وأفاد تقديم المسند إليه ل "أنت" القصر، والمعنى "أنت العزيز الكريم وجدك، دون غيرك".³

" وهذا أمر ملفت للنظر ويدعو إلى التوقف والتأمل إذ كيف يصفه الله بالعزة والكرامة وهو في وسط الجحيم يصب على رأسه من عذاب الحميم، فهو في أقصى درجات الذل والهوان، ولا يستقيم هذا الذل مع وصفه بالعزة والكرامة، إذ أنهما متناقضان فدل ذلك على أن الكلام ليس مراد به حقيقة،

1 باهي والي عبد الله والي، السخرية مواقعها و اسرارها البلاغية، الفصل الثاني، المبحث السادس: السخرية المصورة لنتيجة الشرك يوم القيامة، ص230.

2 المصدر نفسه، 230.

3 التصوير الساخر، حفني عبد الحليم، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، 1992م، ص223-224.

إنما هو ضرب من التهكم الموجه استخدمت فيه ألفاظ الإجلال في موضع التحقير والإهانة، لتوبيخ هذا الطاغية، وتقريعه على ما كان يدعيه في الدنيا من عزة وكرامة على قومه.¹

"التنبيه و إثارة الاهتمام: كما في قوله : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، فإن الوصف بالعزة والكرامة، مع الامر بذوق العذاب، والسياق كله سياق العذاب، امر ملفت للنظر ويحث على التفكير والانتباه، لما كان ذلك كذلك."²

"وهذا فضلا عن ما يحمله لفظ (الدوق) من التهديد والوعيد، إذ ان الذوق من مقدمات الاكل، وفي ذلك إيجاء بما وراء ذلك من العذاب الذي لا يوصف"³

"للدلالة على شدة مقاساته للعذاب حتى لكأنه يدوقه بلسانه، كما أن الذوق لا يكون إلا المطعوم يصاغ في أي مطعوم وهي جهنم."⁴

"وجاء في بيان التهكم في آية: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ وتبدو روعة التصوير في الموازنة بين هجو هذا الزعيم وجبروته في الدنيا وبين حاله الذليلة المهانة في الآخرة وليس من المستطاع التعبير عن مدى ما تحمله السخرية التي توجه إليه فهو في هذا الهوان الشديد بهذا القول البالغ التهكم حيث تؤكد لهذا الشخص عزته وكرامته بمؤكدات كثيرة منها: "إن وأنت" و"ال" في العزيز الكريم، مع أنه في هوان ترسمه صورته في جهنم."⁵

وقد جمعنا: قول بعض المفسرين لآية(ذق) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ في تفسير السعدي ويقال للمعذب "ذق" هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي بزعمك أنك عزيز ستستمتع من عذاب الله وأنت كريم على الله لا نصيبك بعذاب فالיום نبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس."⁶

1 الكشاف، الزمخشري، ج5، ص477.

2 احمد ذياب عنائرة، اسلوب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية، ص63.

3 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها و اسرارها البلاغية، الفصل الثاني، المبحث السادس: السخرية المصورة لنتيجة الشرك يوم القيامة، ص230

4 أسلوب التهكم في القرآن الكريم دراسة تحليلية بيانية، عنائرة أحمد دياب، ص 69.

5 السخرية مواقعها وأسرارها، باهي عبد الله، ص230.

6 تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 2366، ج14/25، ص740.

أما في الوسيط: ثم قولوا له بعد ذلك على سبيل التهكم به والتقرع له "ذق"، أي ذق شدة هذا العذاب فالأمر بالإهانة "إنك" كنت تزعم في الدنيا "بأنك" "أنت العزيز الكريم".¹

وروي عن ابن الزبيري أن أهل اليمن يدعون أكل الزبدة والتمر: التزقم، فدعا أبو جهل بتمر وزبدة وقال: تزقموا، فإن هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾²، فبين الله في هذه الآيات طعام هذا الفاجر في جهنم، بأنه شجرة الزقوم، وشبه هذا الطعام بذردي الزيت في سواده وبتن رائحته أو بذائب الفطنة والنحاس الذي يغلي كالماء الحار الذي انتهى غليانه ويقال لزبانية جهنم خذوا هذا الأثيم وغلوه وقودوه بعنف وغلظة إلى وسط الجحيم، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم هو ما كنت به تكذب وتشك فيه في الدنيا أنت وسائر الكافرين.³

"في الآيات تمثل صورة العذاب المهين في جهنم لأحد قادة الشرك وزعمائهم، وهو أبو جهل نتيجة لوقوفه في وجه الإسلام والمسلمين وتكذيبه للرسول-صل الله عليه وسلم- حيث ترسم لإتباع صورة مهينة لهذا القائد وهو يجر إلى جهنم جراً ويسحب على وجهه سحباً ثم يلقي به في النار كأبي شيء تافه حقير ويصب من فوق رأسه العذاب صبا وهو مستكين ذليل، لا يملك عن نفسه دفاعاً ولا صدا."⁴

دلالة الفعل "ذق" في القرآن الكريم:

"ذاق الطعام-ذوقاً، و مذاقاً: اختبر طعمه. ويقال: مذاقت نوماً".⁵

وهكذا نصت كتب المعاجم غير أنها قالت: "أن الذوق يستخدم في الخير والشر، فقد استخدم في القرآن بهذين المعنيين فأما استخدامه في الخير فجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا رَحْمَةً مِنَّا﴾، وأما استخدامه في الشر ففي قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾، واختير في القرآن لفظ الذوق

1 تفسير الوسيط للقران الكريم، لجنة من العلماء، ط3، 1413هـ/1992هـ، ص865.

2 سورة الدخان، الآية: رقم44.

3 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها و اسرارها البلاغية، ص229.

4 نفس المرجع، ص229.

5 المعجم الوسيط، مادة (ذوق)، ص318.

للعذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للأكل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعلم الأمر سيء وكثر استعماله في العذاب.¹

" ومن هنا فإن لفظ "ذاق" هي الاختيار القليل للحكم على كثير وارتبط ذكرها بذوق الطعام الذي يتلذذ به الإنسان كحقل الغراب وعلى هذا يمكن تأويل قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وما يشابهها نحو قوله: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ) فالقصد والله أعلم والتنبيه على عظم الحدث أو عظم ما يتذوق وكذا العذاب إذاقته في البداية شديدة الصعوبة وساعة هذه الإذافة حقيقة المتذوق.²

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ كَطَعَامِ الْأَثِيمِ، كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ، خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.³

" (إلا من رحم الله) يقول الكسائي: الاستثناء منقطع أي " لكن من رحمة الله "؛ وكذا قال الفداء: وقيل هو متصل، والمعنى لا يعني قريب عن قريب إلا المؤمنون، فإنه يؤذن له في الشفاعة فيشفعون في بعضهم، أو مرفوع على البدلية من مولى الأول ويعني بمعنى ينفع؛ ويقول الحوفي: أو مرفوع المحل أيضا على البدلية من حاو ينصرون، أي لا يمنع من عذاب الله إلا من رحمه الله.⁴

1 دلالة الفعل ذاق في القرآن، مقال: د. نعيم عبد المغني.

2 دلالة الفعل ذاق في القرآن، مقال: د. نعيم عبد المغني.

3 سورة الدخان، الآية رقم: 42-49.

4 فتح البيان في مقاصد القرآن، التنوخي، النجاري أبي الطيب ابن الحسن بن علي، تق: إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية-

صيدا-بيروت، 1307-1248هـ، ج12، ص408.

تفسير الرازي لسورة الدخان:

﴿حَمٍ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾¹ وفي الآية مسائل:

"(المسألة الأولى) في قوله ﴿حَمٍ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ وجوه من الاحتمالات اولها ان يكون التقدير هذه ﴿حَمٍ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ كقولك هذا زيد والله وثانيها ان يكون الكلام قد تم عند قوله ﴿حَمٍ﴾ ثم يقال ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وثالثها ان يكون التقدير: ﴿وَحَمٍ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ فيكون في ذلك التقدير قسمين على شيء واحد.²

"(المسألة الثانية) قالو هذا يدل على حدوث القرآن لوجوه الاول ان قوله ﴿حَمٍ﴾ تقديره هذه حم يعني هذا شيء مؤلف من هذه الحروف المتعاقبة، محدث (الثاني) انه ثبت ان الحلف لا يصح بهذه الاشياء، بل بهذه الاشياء، فيكون التقدير ورب حَمٍ ورب الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وكل من كان مربوبا فهو محدث. ثالثا انه وصفه بكونه كتابا والكتاب مشتق من الجمع فمعناه انه مجموع و المجموع محل تصرف الغير، وما كان ذلك فهو محدث، رابعا قوله (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) و المنزل محل تصرف الغير، و ما كان كذلك فهو محدث، و قد ذكرنا مرارا أن جميع هذه الدلائل تدل على أن الشيء المركب من الحروف المتعاقبة و الأصوات المتوالية محدث. و العلم بذلك ضروري بديهي، لا ينازع فيه إلا من كان عديم العقل و كان غير عارف بمعنى القديم و المحدث. و إذا كان كذلك فكيف ينازع في صحة هذه الدلائل، إنما الذي ثبت قدمه شيء آخر سوى ما تركب من هذه الحروف و الأصوات.³

"(المسألة الثالثة) يجوز ان يكون المراد بالكتاب هنا الكتب المتقدمة التي انزلها الله على انبيائه كما قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ﴾ ويجوز ان يكون المراد اللوح المحفوظ، كما قال ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقال (وانه في ام الكتاب لدينا) ويجوز ان يكون المراد به القرآن، وبهذا التقدير فقد اقسام بالقرآن على انه انزل في ليلة مباركة

1 سورة الدخان الآية 9-1

2 مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1401هـ-

1981م، الجزء 27، ص238.

3 المصدر نفسه، ص238

،وهذا النوع من الكلام يدل في غاية تعظيم القرآن فقد يول الرجل اذا اراد تعظيم رجل له في حاجة اليه: استشفع بك اليك واقسم بحقك عليك.¹

"المسألة الرابعة(المُبين) هو المشتمل على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم و دنياهم، فوصفه بكونه مبيناً،وان كانت حقيقة الابانة لله تعالى، لاجل ان الابانة التي حصلت به، كما ال الله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾²

"وقال في آية اخرى(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)³ وقال: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ﴾ فوصفه بالتكلم اذ كان غاية في الابانة، فكأنه ذو لسان ينطق، والمعنى فيه بالمبالغة، في وصفه بهذا المعنى.⁴

"المسألة الخامسة: اختلفوا في هذه الليلة المباركة فقال الاكثرون :انها ليلة القدر، وقال عكرمة و طائفة آخرون: انها ليلة البراءة ،وهي ليلة النصف من شعبان اما الولون فقد احتجوا على صحة قولهم بوجود اولها انه تعالى قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁵ وهاهنا قال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ فوجب ان تكون هذه الليلة المباركة تلك المسماة بليلة القدر ،لئلا يلزم التناقض ،وثانيها انه تعالى قال ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فبين ان انزال القرآن انما وقع في شهر رمضان ،وقال ههنا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ فوجب ان تكون هذه الليلة المباركة في شهر رمضان، و كل من قال ان هذه الليلة المباركة واقعة في شهر رمضان قال انها ليلة القدر ،وثبت انها ليلة القدر، وثالثها انه تعالى قال في صفة ليلة القدر ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾⁶ وقال ايضا ههنا فيها ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وهذا مناسب لقوله ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا﴾ وههنا قال ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ وقال في تلك الآية (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) وقال ههنا (رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا)وقال في تلك الآية (سَلَامٌ هِيَ) واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى .ورابعها نقل محمد بن

1 المصدر نفسه ،ص238

2 المصدر نفسه ص238

3 سورة يوسف الآية 3

4 الرازي ، مفاتيح الغيب،240.

5سورة القدر الآية 1

6سورة القدر الآية 4

جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال :نزلت صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان و التوراة لست ليال منه، و الزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه ، و الانجيل لثمان عشرة ليلة مضت منه ، و القرآن لاربع و عشرين ليلة مضت من رمضان، واللييلة المباركة هي ليلة القدر و خامسها ان ليلة القدر انما سميت بهذا الاسم لان قدرها و شرفها عن الله عظيم ،و معلوم انه ليس قدرها و شرفها بسبب ذلك الزمان، لان الزمان شيء واحد.¹

● في الذات و الصفات فيمتنع كون بعضه اشرف من بعض لذاته، فثبت ان شرفه و قدره بسبب انه حصل فيه امور شريفة عالية لها قدر عظيم، ومرتبة رفيعة، ومعلوم ان منصب الدين اعلى و اعظم من منصب الدنيا ، و اعلى الاشياء و اشرفها في الدين هو القرآن، لان به ثبتت نبوة محمد عليه الصلاة و السلام، وبه ظهر الفرق بين الحق و الباطل في سائر كتب الله المنزلة، كما قال في صفته ومهيمننا عليه،وبه ظهرت درجات ارباب السعادات ، و دركات ارباب الشقاوات، فعلى هذا لا شيء الا والقرآن اعظم قدرا و اعلى ذكرا و اعظم منصبا منه ،فلو كان نزوله انما وقع في ليلة اخرى سوى ليلة القدر لكانت ليلة القدر هي هذه الليلة الثانية لا الاولى، وحيث اطبقوا على ان ليلة القدر التي وقعت في رمضان علمنا ان القرآن انزل في تلك الليلة ، واما القائلون بان المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة النصف من شعبان، كما رايت لهم دليلا يعول عليه، وانما قنعوا فيه بان نقوله عن بعض الناس ،فان صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه كلام فلا مزيد عليه والا فالحق هو الاول، ثم ان هؤلاء القائلين بهذا القول زعموا ان ليلة النصف من شعبان لها اربعة اسماء: الليلة المباركة ،ليلة البراءة، ليلة الصك، ليلة الرحمة، وقيل سميت بليلة البراءة و ليلة الصك لان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراءة ،ولله المثل الاعلى يكتب لعباده المؤمنين البراءة، وقيل هذه الليلة مختصة بخمس خصال:²

● تفريق كل امر حكيم فيها ، قال تعالى

● فضيلة العبادة فيها ، قال عليه الصلاة و السلام "من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة ،ثلاثون يؤمنونه من عذاب النار و ثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا ،وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان."

1مفاتيح الغيب ،الرازي ص240

2 مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي، نقله عن الكشاف ،ص241

● نزول الرحمة، قال عليه الصلاة و السلام "ان الله يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب".

● حصول المغفرة، قال عليه الصلاة و السلام "ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة، الا لكاهن، او مشاحن، او مدمن خمر، او عاق للوالدين او مصر على الزنا."

● انه تعالى اعطى رسوله في هذه الليلة تمام الشفاعة، وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطى الثالث منها، ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين، ثم سال ليلة الخامس عشر، فاعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير.

"فان قيل لا شك في ان الزمان المدة الزمنية الممتدة التي تقديرها حركات الافلاك و الكواكب، وانه في ذاته امر متشابه الاجزاء فيمتنع كون بعضها افضل من بعض، والمكان عبارة عن الفضاء الممتد والخلاء الخالي فيمتنع كون بعض اجزائه اشرف من البعض، واذ كان كذلك كان تخصيص بعض اجزائه بمزيد الشرف دون الباقي ترجيحاً لاحد طرفي الممكن على الآخر لا مرجح وانه محال، قلنا القول باثبات حدوث العالم واثبات ان فاعله فاعل مختار بناء على هذا الحرف وهو انه لا يبعد عن الفاعل المختار تخصيص وقت معين باحداث العالم فيه دون ما قبله و ما بعده، فان بطل هذا الاصل فقد بطل حدوث العالم و بطل الفاعل المختار وحينئذ لا يكون الخوض في تفسير القرآن فائدة، وان صح هذا الاصل فقد زال ما ذكرتم من السؤال، فهذا هو الجواب المعتمد، والناس قالوا لا يبعد ان يخص الله تعالى بعض الاوقات بمزيد تشريف حتى يصير ذلك داعياً للكلف الى الاقدام على الطاعات في ذلك الوقت، لهذا السبب بين انه تعالى اخفاه في الاوقات وماهيته لانه لم يكن معيناً يجوز المكلف في كل وقت معين ان يكون هو ذلك الوقت الشريف فيصير ذلك حاملاً له على المواظبة على الطاعات في كل الاوقات، واذ وقعت على هذا الحرف ظهر عندك ان الزمان و المكان انما فازا بالتشريفات الزائدة تبعاً لشرف الانسان فهو الاصل وكل ما سواه فهو تبع له و الله اعلم "1.

"المسألة السادسة: روى ان عطية الحروري سال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن قوله ﴿ اَنَا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وقوله ﴿ اَنَا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾ كيف يصح ذلك مع ان الله تعالى انزل القرآن بحسب ذاته فمن ثلاثة اوجه احدها انه تعالى اقسام به، وذلك يدل على شرفه وثانيها انه تعالى

اقسم به على كونه نازلا في ليلة مباركة، وقد ذكرنا ان القسم بالشيء على حالة من احوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف و ثالثها انه تعالى وصفه بكونه مبينا و ذلك يدل ايضا على شرفه في ذاته".¹

"واما النوع الثاني هو بيان شرف هو الوقت الذي انزل فيه قوله (انا انزلناه في ليلة مباركة) وهذا تنبيه على ان نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه و جلالته، ثم نقول ان قوله (انا انزلناه في ليلة مباركة) يقتضي امرين، احدهما انه تعالى انزله فهو قوله (انا كنا منذرين) يعني الحكمة في انزال هذه السورة ان انذار الخلق لا يتم الا به، واما بيان ان هذه الليلة مباركة فهو امران: احدهما انه تعالى يفرق فيها كل امر حكيم، و الثاني ان ذلك الامر الحكيم مخصوص بشرف انع انما يظهر من عنده، واليه الاشارة بقوله (المر من عندنا)."²

"واما النوع الثالث فهو بيان شرف القرآن لشرف منزله و ذلك قوله تعالى (انا كنا مرسلين) فبين ان ذلك الانذار و الارسال انما حصل من الله تعالى، ثم بين ان ذلك الارسال انما كان من اجل تمكين الرحمة لقوله تعالى (رحمة من ربك) ، وكان الواجب ان يقال رحمة منا الا انه وضع الظاهر موضع المضمر ايدانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المرئيين، ثم بين ان تلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين، لانه تعالى يسمع تضرعاتهم، ويعلم انواع حاجاتهم، فلماذا قال انه هو السميع العليم، فهذا ما خطر بالبال في كيفية تعلق بعض هذه الآيات ببعض."³

المسألة الثامنة في تفسير مفردات هذه الالفاظ ،اما قوله تعالى (انا انزلناه في ليلة مباركة) فقد قيل فيه انه تعالى انزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في هذه الليلة ، ثم انزل في كل وقت ما يحتاج اليه المكلف، وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ، في ليلة البراءة و يقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ، ونسخة الحروب الى جبرائيل وكذلك الزلازل والصواعق والحسف ، ونسخة الاعمال الى اسماعيل ، صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ، ونسخة المصائب الى ملك الموت.⁴

1 المصدر نفسه، 240

2 مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي، ص 241

3 المصدر نفسه ص 241

4 المصدر نفسه ، ص 241

"اما قوله تعالى (فيها يفرق) اي في تلك الليلة المباركة يفرق اي بفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء افرقه فرقا و فرقانا ،قال صاحب الكشاف وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق على اسناد الفعل الى الفاعل ونصب كل والفارق هو الله عز وجل ،وقرا زيد بن علي نفرق بالنون.¹"

"اما قوله (كل امر حكيم) فالحكيم معناه ذو الحكمة ،وذلك لان تخصيص الله تعالى كل احد بحالة معينة من العمر و الرزق و الاجل والسعادة و الشقاوة،يدل على حكمة بالغة لله تعالى، فلما كانت تلك الافعال و الاقضية دالة على حكمة فاعلمها وصفت بكونها حكيمة،وهذا من الاسناد المجازي،لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز ،ثم قال (امرا من عندنا) انتصاب في قوله (امرا) وجهان:الاول انه نصب على الاختصاص ،وذلك انه تعالى بين شرف تلك الاقضية و الاحكام بسبب ان وصفها بكونها حكيمة ،ثم زاد في بيان شرفها بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصل من عندنا كائنا من لدنا ،وكما اقتضاه علمنا وتديبنا والثاني انه نصب على الحال وفيه ثلاثة اوجه:الاول ان يكون حال من احد الضميرين (في انزلناه)،اما من ضمير الفاعل اي (انا انزلناه) امرين امرا او من ضمير المفعول اي (انا انزلناه) في حال كونه امرا من عندنا بما يجب ان يفعل و ثالثا ما حكاه ابو علي الفارسي عن ابي الحسن رحمهما الله انه حمل قوله (امرا) على الحال و ذو الحال قوله(كل امر حكيم)وهو نكراً.²"

"ثم قال (انا كنا مرسلين) يعني انا انما فعلنا ذلك للانذار لاجل (انا كنا مرسلين)يعني الانبياء.

ثم قال (رحمة من ربك) اي للرحمة فهي نصب على ان يكون مفعولا له.

ثم قال (انه هو السميع العليم) يعني ان تلك الرحمة كانت رحمة في الحقيقة لان المحتاجين اما ان يذكروا بالسنتهم حاجاتهم ،واما ان لا يذكروها، فان ذكروها فهو تعالى يسمع كلامهم فيعرف حاجاتهم، وان لم يذكروها فهو تعالى عالم بها فثبت ان كونه (سميعا عليما) يقتضي ان يُنزل رحمته عليهم ثم قال (رب السماوات و الارض و ما بينهما ان كنتم موقنين)³ وفيه مسائل:⁴

1 الرازي ، مفاتيح الغيب،ص241.

2 مفاتيح الغيب ،فخر الدين الرازي،ص241

3 المصدر نفسه،ص242

4 مفاتيح الغيب ،الرازي،ص242

● المسألة الاولى: قرا عاصم وحمزة و الكسائي بكسر الباء من رب عطفنا على قوله (رحمة من ربك) والباقون بالرفع عطفنا على قوله (هو السميع العليم).

● المسألة الثانية: المقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفاً بهذه الجلالة و الكبرياء كان المنزل الذي هو القرآن في غاية الشرف و الرفعة.

● المسألة الثالثة: الفائدة من قوله (ان كنتم موقنين) من وجوه الاول قال ابو مسلم معناه ان كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، فاعرفوا ان الامر كما قلنا، كقولهم فلان منجد متهم اي يريد نجدا وتهمة. والثاني قال صاحب الكشاف كانوا يقرون بان للسموات و الارض ربا وخالقا فليلهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب سبحانه و تعالى، ثم قيل ان هذا هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات و الارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم و يقين، كما تقول هذا انعام زيد الذي تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه و سمعت قصته، ثم انه تعالى رد ان يكونوا موقنين بقوله (بل هم في شك يلعبون) وان اقرارهم غير صادر عن علم و يقين ولا عن جد و حقيقة بل قوله مخلوط بهزؤ و لعب والله اعلم.

تفسير قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ..... إِنْ أَنْتُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾: ¹

اعلم ان المراد بقوله (فارتقب) انتظر و يقال ذلك في المكروه، والمعنى انتظر يا محمد عذابهم حذف مفعول الارتقاب للدلالة على ما ذكر بعده عليه و هو قوله (هذا عذاب اليم) ويجوز ايضا ان يكون (يوم تاتي السماء) مفعول الارتقاب و قوله (بدخان) وفيه قولان.

الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قومه بمكة لما كذبه فقال (اللهم اجعل سنينهم كسنين يوسف) فارتفع المطر و اجذبت الارض و اصابت قريشا شدة المجاعة حتى اكلوا العظام و الكلاب و الجيف، فكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السماء كالدخان وهذا قولهم ابن عباس رضي الله عنهما في بعض الروايات و مقاتل و مجاهد و اختيار الفراء و الزجاج وقول ابن مسعود رضي الله عنه، وكان ينكر ان يكون الدخان الا هذا الذي اصابهم من شدة الجوع كالضلمة في ابصارهم حتى كانوا كأنهم يروون دخانا، فالحاصل ان هذا الدخان هو الضلمة التي في ابصارهم من شدة الجوع، وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالى وجهين الاول ان في السنة القحط

1 الرازي، مفاتيح الغيب، ص 243.

يعظم ييس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع المطر و يرتفع الغبار الكثير و يظلم الهواء ، و ذلك يشبه الدخان و لهذا يقال لسنة المجاعة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الشر الغالب بالدخان فيقول كان بيننا امر ارتفع له دخان، و السبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه او ضعفه اظلمت عينه فيرى الدنيا كالمملوءة من الدخان "1.

"و القول الثاني في الدخان انه دخان يظهر في العالم وهو احدى علامات القيامة ،قالوا فاذا حصلت هذه الحالة حصل لأهل الايمان منه حالة تشبه الزكام، وحصل لأهل الكفر حالة يصير لأجلها راسه كراس الحنيد ، وهذا القول هو المنقول عن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو قول مشهور لابن عباس واتج القائلون بهذا القول بوجوه الاول ان (قوله يوم تأتي السماء بدخان مبين) يقتضي وجود دخان تأتي به السماء وما ذكرتموه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع فذاك ليس بدخان اتت به السماء فكان حمل لفظ الآية على هذا الوجه عدولا عن الظاهر لا لدليل منفصل ، وانه لا يجوز والوجه الثاني انه وصف ذلك الدخان كونه مبينا ، والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك لانها عارضة تعرض لبعض الناس في ادماغهم ، و مثل هذا لا يوصف بكونها دخانا مبينا والثالث وصف ذلك الدخان بانه يغشى الناس ، وهذا انما يصدق اذا وصل ذلك الدخان اليهم واتصل بهم والحالة التي ذكرتموها لا توصف بانها تغشى الناس الا على سبيل المجاز و قد ذكرنا ان العدول من الحقيقة الى المجاز لا يجوز الا بدليل منفصل رابعا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال دخان يملا ما بين المشرق و المغرب يمكث اربعين يوما وليلة ، اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه و اذنيه و دبره) رواه صاحب الكشاف ، وروى القاضي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (باكروا بالعمال ستا ، وذكر منها طلوع الشمس من مغربها و الدجال و الدخان و الدابة) اما للقائلون بالقول الاول، فلا شك ان ذلك يقتضي صرف اللفظ عن حقيقته عن المجاز ، وذلك لا يجوز الا عند قيام دليل يدل على حمله على حقيقته فيمتنع و القوم لم يذكروا ذلك الدليل فكا المصير الى ما ذكروه مشكلا جدا ، فان قالوا الدليل على المراد ما ذكرناه انه تعالى حكى عنه انهم يقولون (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) وهذا اذا حناه على القحط الذي وقع بمكة

1 مفاتيح الغيب ،الرازي،ص243.

استقام فانه نقل ان القحط لما اشتد بمكة مشى اليه ابو سفيان وناشده بالله والرحم ووعدده انه ان دعا لهم وازال الله عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به ، فلما ازال الله تعالى عنهم ذلك رجعوا الى شركهم ، اما اذا حملناه على ان المراد به ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك ، لان عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم ان يقولوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) ولم يصح ايضا ان يقال لهم (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) و الجواب لما لا يجوز ان يكون ظهور هذه العلامة جاريا مجرى ظهور سائر علامات القيامة في انه لا يوجب انقطاع التكليف فتحدث هذه الحالة ، ثم ان الناس يخافون جدا فيتضرعون ، فاذا زالت تلك الواقعة عاودوا الى الكفر و الفسق، و اذا كان هذا محتملا سقط ما قالوه والله اعلم.¹

ولنرجع الى التفسير فنقول قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ اي ظاهر الحلالا يشك احد في انه دخان يغطي الناس اي يشملهم وهو في محا الجر صفة لقوله (بدخان) وفي قوله (هذا عذاب اليم) قولان الاول انه منصوب المحل بفعل مضمر و هو (يقولون) منصوب على الحال اي قائلين ذلك الثاني قال الجرجاني صاحب النظم هذا اشارة اليه واخبار عن دنوه و اقتربه كما يقال هذا العدو فاستقبله و الغرض منه التنبيه على القرب.²

"ثم قال (ربنا اكشف عنا العذاب) فان قلنا التقدير يقولون (هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب) فالمعنى الظاهر وان ام يضمr القول هناك اضمرناه ههنا و العذاب على القول الاول هو القحط الشديد ،وعلى القول الثاني الدخان المهلك (انا مؤمنون)اي بمحمد و بالقرآن و المراد من الوعد بالايمان ان كشق عنهم العذاب.³

تفسير آية ﴿ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم﴾⁴

1 الرازي، مفاتيح الغيب،ص244.

2 مفاتيح الغيب ،الرازي،ص244.

3المصدر نفسه ،ص245.

4 المصدر نفسه،ص252

(ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين) وفي تسمية يوم القيامة يوم الفصل وجوه¹

- الاول: قال الحسن: يفصل الله فيه بين اهل الجنة و اهل النار.
- الثاني: يفصل في الحكم و القضاء بين عباده.
- انه في حق المؤمنين يوم الفصل ،بمعنى انه يفصل بينه و بين كل ما يكرهه، وبحق الكفار ،بمعنى انه يفصل بينه و بين كل ما يريد.
- الرابع: انه يظهر حال كل احد كما هو ،فلا يبقى في حالة ريبة ولا شبهة، فتنفصل الخيالات والشبهات و تبقى الحقائق و اللبنيات ،قال ابن عباس رضي الله عنه المعنى ان يوم يفصل الرحمن بين عباده ميقاتهم اجمعين، البر و الفاجر ،ثم وصف ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) يريد قريب عن قريب (ولا هم ينصرون) اي ليس لهم ناصر ،والمعنى ان الذي يتوقع منه النصره اما القريب في الدين او في النسب او المعتق ،و كل هؤلاء يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصره منهم فبان لا تحصل عن سواهم اولى،وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (واتقوا يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا) الى قوله تعالى (ولا ينصرون) قال الواحدي :والمراد بقوله (مولى عن مولى) ال ترى انه ذكر المؤمن فقال (الا من رحم الله) قال ابن عباس رضي الله عنه:يريد المؤمن فانه تشفع له الانبياء والملائكة.

"اعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على ان القول بالقيامة حق ، ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقبه وعيد الكفار ،ثم بعده وعد الابرار، اما وعيد الكفار فهو قوله (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) وفيه مسائل:²

-المسألة الاولى : قال صاحب الكشاف قرئ(ان شجرة الزقوم)بكسر الشين،ثم قال وفيه ثلاث لغات :شجرة بفتح الشين وكسرهما و شيرة بالياء و شيرة بالياء.

-المسألة الثانية :البحث عن الاشتقاق اللفظ(الزقوم) ،قد تقدم في سورة الصافات ،فلا فائدة في الاعادة

1 المصدر نفسه ،ص252.

2 مفاتيح الغيب ،الرازي،ص252.

-المسألة الثالثة : قالت المعتزلة الآية تدل على حصول هذا الوعيد الشديد الاليم ،والاثيم هو الذي صدر عنه الاثم ،والاثيم هو الذي صدر عنه الاثم ،فيكون هذا الوعيد حاصلًا للفساق و الجواب ان بيننا ف في اصول الفقه ان اللفظ المفرد الذي دخل عليه حرف التعريف الاصل فيه ان ينصرف الى المذكور سابقا ،ولا يفيد العموم وههنا المذكور سابقا هو الكافر ،فينصرف اليه.¹

-المسألة الرابعة: مذهب ابي حنيفة :ان القرآن بالمعنى الجائز واحتج عليه بانه نقل ان ابن مسعود كان يقرئ رجلا هذه الآية فكان يقول :طعام الاثيم ،فقال طعام الفافاجر، وبهذا الدليل في غاية الضعف .

ثم قال (كالمهل) قرئ بضم الميم وفتحها ،وقد شبه الله تعالى هذا الطعام بالمهل، وهو دردي الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس ،وتم الكلام ههنا، ثم اخبر عن غليانه في بطون الكفار فقال (يغلي في البطون) وقرئ بالتاء فمن قرأ بالتاء التانيث للشجرة، ومن قرأ بالياء حمله على الطعام في قوله (طعام الاثيم) لان الطعام هو (ثمر) الشجرة في المعنى ، و اختيار ابو عبيد الياء لان الاسم المذكور يعني المهل هو الذي بل الفعل فصار التذكير به اولى ، و اعلم انه لا يجوز ان يحمل الغلى على المهل لان المهل مشبه به ، وانما يغلي ما يشبه بالمهل كغلي الحميم و الماء اذا اشتد غليانه فهو حميم .

ثم قال (خذوه) اي خذوا الاثيم (فاعتلوه) قرئ بكسر التاء ، قال الليث :المثل ان تاخذ بمنكث الرجل فتعته اي تجره اليك و تذهب به الى حبس او محنة ، واخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك اذا قبض على اصل الزمام عند الراس وقادها قودا عنيفا ، وقال ابن السكيت عتلته الى السجن و اعتلته اذا دفعته دفعا عنيفا ، هذا قول جميع اهل اللغة في العتل، وذكروا في اليقين ضم التاء و كسرهما وهما صحيحان مثل يعكفون ، ويعرشون و يعرشون

قوله تعالى (الى سواء الجحيم) اي الى وسط الجحيم (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم) وكان الاصل ان يقال : ثم صبوا من فوق راسه الحميم او يصب من فوق رؤوسهم الحميم الا ان هذه الاستعارة اكمل في المبالغة كانه يقول : صبوا عليه عذاب ذلك الحميم ، ونظيرة قوله تعالى (رينا افرغ علينا صبرا) و(ذق انك انت العزيز الكريم) وذكروا فيه وجوها الاول انه يخاطب بذلك على سبيل الاستهزاء ، والمراد انك انت بالضد منه والثاني انه ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم :

1 المصدر نفسه،252

ما بين جبلها اعز ولا اكرم مني فلو الله ما تستطيع انت و لا ربك ان تفعل بي شيئاً والثالث انك كنت تعتز لا بالله فانظر ما وقعت فيه ، وقرئ انك بمعنى لا لانك .

(إنه هو العزيز الرحيم) أي الغالب الذي لا ينصر من أراد عذابه، الرحيم بعباده المؤمنين، ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار، فقال تعالى: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) وهي شجرة خلقها الله في جهنم على صورة شجرة الدنيا، وسماها الشجرة الملعونة والزقوم ثمرها، وهو كل طعام ثقيل فإذا جاء أهل النار التجؤوا إليها فأكلوا منها، وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات.¹

(كالمهل) وهو رديء الزيت وعطر القطرات، وقيل هو النحاس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب أو فضة وكل ما طبع سواء كان من حديد وورصاص وقيل الصديد والقيح.²

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾ قرأ الجمهور "تغلي" بالتاء على أن الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ثالث أحوال أو خبر مبتدأ محذوف، أي تغلي غلياً مثل غلي الحميم، وهو ماء شديد الحرارة، وقرأ بالياء "يغلي" على أن الفاعل ضمير يعود على الطعام، وهو في المعنى الشجرة، ولا يصح العودة إلى المهل لأنه مشبه به، وإنما يغلي ما شبه بالمهل.³

(خذوه) أي يقال للملائكة ه خزنة النار خذوه أي الأثيم فاعتلوه، فإن العتل: هو القود بالعنف، يقال عتله، يعتله أي: يجره، وذهب به إلى مكروهه، وقيل: العتل أن تأخذ بتلابيب الرجل وبجامعه فتجره، قرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها، وهما لغتان وقراءتان سبعيتان.⁴

(إلى سواء الجحيم) أي إلى وسطه ومعظمه كقوله: (فراه في سواء الجحيم)، (ث صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أي صبوا فوق رأسه من هذا النوع وإضافة العذاب إلى الجحيم، للبيان أن العذاب هو الحميم، وهو ماء حار كما تقدم شرحه، أو إضافة الصفة إلى الموصوف أو المسبب للسبب ، المصبوب هو الحميم لا عذابه، وصب العذاب استعارة كقوله: (أفرغ علينا صبراً)، فقد شبه العذاب بالماء، ثم خيل له بالصب.⁵

1 فتح البيان في مقاصد القرآن، التنوخي، المصدر السابق، ص408.

2 نفسه، ص409.

3 نفس المصدر، ص409.

4 نفسه، ص409.

5 نفسه، ص410.

(ذق) الأمر للإهانة به أي قولوا له تهكما وتقريعا وتوبيخا ذق العذاب، (إنك) قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائي بفتحها، وروي ذلك عن علي أي: لأنك (أنت العزيز الكريم).

"التهكم من حال المنافقين يوم القيامة":¹

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ، يُنَادُونَهِمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ، فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.²

لقد تناولت هذه الآيات ثلاث موضوعات رئيسية:³

الأول: أن الكون كله لله - جل جلاله - فهو خالقه ومبدعه والتصرف فيه بما يشاء

الثاني: وجوب التضحية بالنفس وإعزاز الدين ورفع راية الإسلام.

الثالث: تصوير حقيقة الدنيا بما فيها من بهرج كاذب ومتاع خادع لكي لا يعتر بها الإنسان.⁴

"التهكم في هذه الآيات جاءت بعد أن رجع المنافقون إلى المؤمنين مرة أخرى حين لم يحدوا نورا ووجدوا السور قد وصل لأعينهم، ويبدو أن هذا السور يمنع الرؤية، ولكن لا يمنع الصوت فنادوا المؤمنين حينئذ نداء عتاب ولوم (الم نكن معكم) أي في الدنيا في العبادات والمساجد والصلوات والغزوات وكان رد المؤمنين يحمل الكثير من التوبيخ والتقريع في قوله: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾.⁵

" والسخرية واضحة في اللفظين، (مأواكم) و(مولاكم)، وبيان ذلك أنهما في الأصل استعماهما لا يصدق على جهنم بل يتصور في هذين اللفظين عكس ما يتصور في جهنم فلفظ (المأوى) يعني المنزل

1 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية، ص 331.

2 سورة الحديد، الآية رقم: 13-14-15.

3 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية، ص 331..

4 المصدر نفسه، ص 331.

5 المصدر نفسه، ص 331.

والمكان الذي يؤوي إليه وأويت له أي: رتمه فهذا اللفظ إنما يتصور فيه الحصول على الراحة والطمأنينة والقوة والمتعة كما يحمل معنى اللطف والحنان والله تعالى أخبر أن جهنم مأوى الكافرين كناية عم الخلود والاستمرار فيها مع أنهم لا يجدون فيها السلامة ولا الأمن بل يجدون فيها النار التي تحرق جلودهم وتقطع قلوبهم.¹

"ومثل هذا اللفظ (المولى) التي تدل على النصر والمعونة فهؤلاء المنافقون يرجعون إلى النار كما يرجع المنتصر إلى مولاه لينصره، فاستعير المولى للمقر على طريق التهكم حيث نسب العائد إلى جهنم بالعائد إلى مولاه وناصره، بدافع النصر والمعونة في كل تحقيق في المولى وتنزيلا للتضاد ومنزلة للتناسب على سبيل الاستعارة التصريحية التهكمية ومعنى مولاكم أملك بكم وأولى بأخذكم وهذا بمعنى المولى عن طريق الرق ولا المولى من جهة العتق فكأن النار تملكهم رقا ولا تحررهم عتقا والغرض البلاغي من هذه الاستعارة نفي الناصر لهم على أية حال فمن كانت النار مولاة فلا مولى ولا نصير له.²

ولقد جمعنا في هذا الفصل سحرية القرآن من المنافقين والكفار ولقد أردنا أن نخصص بهذا المحتوى باب في هذه الرسالة.

1- "سحرية القرآن من المنافقين"³:

"سحرية القرآن من عقيدة المنافقين"⁴: "أول الآيات التي سخرت من عقيدة المنافقين قوله تعالى: ﴿مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.⁵

1 نفسه، ص336.

2 باهي والي باهي عبد الله، السحرية مواقعها واسرارها البلاغية ، ص337.

3 المصدر نفسه ص 337.

4 المصدر نفسه ص337.

5 سورة البقرة، الآية رقم: 8_9_10.

"يخادعون الله) الخداع: أن تظهر لغيرك خلاف ما تخفيه لهمن الشر ليحسن الظن بك، ولما كان المولى سبحانه لا يخفى عليه سرهم ونجواهم كان الخداع يحسب زعمهم، جهلا منهم."¹

"(وما يخدعون إلا أنفسهم) أي ما يعود ضررا خداعهم إلا عليهم."²

"(في قلوبهم مرض) المراد منه هنا الشك والارتياب الذي نشأ عنه النفاق، فزادهم الله مرضا وشكا وارتيابا والمراد أنه خلالهم وربيبهم، فلم يسعفهم بالتوفيق السوء نياتهم فتضاعف الريب في قلوبهم وتعاضم أثره من النفاق.³ و المرض هنا عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم وذلك إما يكون شكا أو نفاقا وإما جحودا وتكديبا."⁴

"(فزادهم الله مرضا) قيل هز دعاء عليهم ويكون معنى الكلام زادهم الله شكا ونفاقا جزاء على كفرهم وضعفا عن الانتصار وعجزا عن القدرة."⁵

" و من شواهد التهكم من عقيدة المنافقين أيضا قوله تعالى: (وبشر المنافقين أن لهم عذابا أليما)⁶ ومنبع السخرية آت من فعل الأمر "بشر" حيث استخدم لفظ البشارة في موضع الإنذار والوعيد فهو على خلاف المعهود، إذ أن البشارة على المنافقين تتضمن العذاب الأليم، فهذا الفعل استخدم في غير موضعه، لأن موضعه هو الخير والسرور،⁷ كما قال تعالى: (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)."⁸

1 التفسير الوسيط للقران الكريم، مطبعة المصحف الشريف، لجنة مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ط3، 1413-1992م، ص35.

2 نفسه، ص36.

3 نفسه، ص36.

4 الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تح: عبد الله بن هبذ المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م، ج1، ص299.

5 نفس المصدر، ص300.

6 سورة النساء، الآية رقم:138.

7 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية، ص308.

8 سورة البقرة، الآية رقم: 25.

(وبشر النافقين بأن لهم عذابا أليما)،¹ "بعد أن أوصى الله في وجوه هؤلاء المنافقين أبواب الرحمة والهداية نتيجة تكرر كفرهم ، أمر الله رسوله أن ينذرهم بأنه أعد لهم في الآخرة عذابا شديدا. وعبر عن الإنذار بالتبشير تحكما بهم وسخرية منهم وإيаса لهم من المبشرات كلها، وأنها بفرض وقوعها كما هي هنا فليس بها رصيد إلا العذاب الأليم، لتلاعبهم بالعقيدة وسخرتهم بها."²

" لكن الله أراد السخرية بهم فأنذرهم بما أعد لهم من العقوبة على غير الطريقة المألوفة ليكون أدعى لتوبيخهم والإنكار عليهم بما اقترفوه من المعاصي العظيمة، وليكشف عما انطوت عليه نفوسهم من النفاق والرياء والتلبيس على المؤمنين، فهؤلاء لما اظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر استحقوا أن يجازيهم الله من جنس عملهم فجاء بلفظ ظاهره الرحمة، وباطنه العذاب والثبور فاستعار لفظ البشارة وهي الإخبار بما يسر، للإنذار وهي الإخبار بما يسوء فنزل التضاد منزلة تناسب وشبه الإنذار بالشيء بجامع السرور في كل تحقيق في التبشير، وتنزيلا في الإنذار، ثم اشتق من التبشير "بشر" بمعنى (أنذر) على سبيل الاستعارة التبعية والتهكمية، وعلى الرأي القائل بأن "بشر" بمعنى "أخبر" فيكون الفعل مجازا مرسلا تهكميا ، والغرض منه سواء كان استعارة تبعية تهكمية أو مجازا مرسلا تهكميا هو الاستحقاق بعقولهم والتعريض بقلة بصيرتهم وسفه رأيهم."³

"قال تعالى: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾"⁴، لقد صرح القرآن الكريم ببيان السبب في كفر هؤلاء بعد الإيمان بقوله: (فطبع على قلوبهم)، فاستعار الفعل طبع لصرف قلوبهم عن الطاعة استعارة تصريحية تبعية مبالغة في عدم نفاذ أي شيء من الإيمان إلى قلوبهم، واستعار بفساد سريرتهم وبعدهم عن تقبل الحق؛ وفي بناءه للمفعول ما يشعر بأنهم لا يستحقون أن يذكر معهم فاعل لهوانهم على الله -عز وجل- أو تنزيها له باعتباره فاعل الطبع من أن يذكر في سباق الواحد مع هؤلاء المنافقين، لأنهم بلغوا درجة من الفساد في العقيدة بحيث لا يدركون حقيقة

1 سورة النساء، الآية رقم: 138.

2 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المصدر السابق، ص 940.

3 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية ، ص 308-309.

4 سورة المنفقون، الآية رقم: 3.

الإيمان ولا يفقهونها بفعل الطبع المؤدي بهم إلى الكفر فالطبع سبب في عدم الفقه، وعد الفقه نتيجة للطبع ولذا قدم الطبع على عدم الفقه في الآية.¹

"ولما طبع الله على قلوبهم كان من نتيجة ذلك وصفهم (لا يفقهون) وهذا هو موطن السخرية، والفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، وأبو هلال العسكري يرى: أن الفقه هو العلم المقترض للكلام على تأمله ونفي الله عز وجل عنهم هذا العلم والإدراك المؤدي بهم إلى الإيمان ووصفهم بعدم الفقه فيه سخرية بالغة وتهكم بالغ بهؤلاء."²

"قال تعالى: (ويحلفون بالله أنهم لمنكم وماهم منكم قوم يفرقون، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمعون).³ فيصفهم الله بأنهم قوم يفرقون والفرق هو تفرق القلب من الخوف والمقصود أنهم يخافون خوفا شديدا وسيطر عليهم دائما الشعور بالهروب والاختفاء حتى وان لم يتعرضوا لما يخيفهم والآية-هنا-ليس في سياقها ما يدل على سبب يدعو لهذا الخوف الشديد كالأمر بالحرب أو القتال أو نحوها حتى يخافوا، مما يؤكد أن الخوف والرعب والتماس المهرب طبيعة فيهم، والذي وضح هذه السخرية وجلاها هو يحثهم عن ملجأ أو مغارة يختبئون بها، وحين يجدونه يسرعون إليه كالحصان الجموح، فلفظ يفرقون يوحي بأن خوف المنافقين من طراز خاص، يختلف عن خوف سائر الناس ولفظ (يجمعون)، يوحي برغبة عارمة في الهرب والاختباء رغبة تملك عليهم أقطار نفوسهم وتسيطر عليهم سيطرة تفقداهم الاتزان والهدوء."⁴

" قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾⁵ فالآية توضح مدى ضعف هؤلاء وانكشاف ستر الرياء عنهم وتصورت هيئتهم ببيئة المحتضر الذي ظهرت عليه علامات الموت، وهي صورة ساحرة جدا وتهكم لاذع بهم،⁶ والذي زاد من حدة السخرية بيان أن كل هذا

1. باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية، ص311

2 المصدر نفيه، ص311.

3 سورة التوبة، الآية رقم: 56-57.

4 السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية، المصدر السابق، ص313.

5 سورة محمد، الآية رقم: 20.

6 السخرية مواقعها وأسرارها البلاغية، المصدر السابق، ص314.

الرعب والفرع الذي اعترى هؤلاء المنافقين والذي بدا في عيونهم ونظراتهم، ليس لأنهم أمروا بالقتال وإنما لمجرد أن السورة نزلت ذكر فيها القتال.¹

"قال تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾²، إن الله - سبحانه وتعالى - يعطي نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾³ ، وبينما هم يمشون يبعث الله عليهم ريحا وظلمة فينطفئ، فيتخبطون في ظلال ومهانة وإهمال ويتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات قائلين بهم في قوله تعالى: (انظرونا نقتبس من نوركم)، ولكن كيف يقتبسون من هذا النور وقد عاشوا حياتهم كلها في ظلام؟ حينئذ يرد عليهم المؤمنون أ الملائكة يتهمكم بالغ وسخرية لاذعة قائلين لهم: (ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا)، أي ارجعوا الى الدنيا فمن هناك يلتمس النور بالعمل الصالح، فليس اليوم يلتمس فيه النور ، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا، فيصرفون إليهم مرة أخرى ليلقوهم، فيميز بينهم وبين المؤمنين بحائط له باب باطنه فيه الرحمة وهي الجنة من ناحية المؤمنين وظاهره من قبله العذاب ومن ناحية المنافقين.⁴

"﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فمنبع السخرية فيه آت من الأمر الصادر من المؤمنين أو الملائكة للمنافقين ملتسمي النور، وهذا مراد به التهمك الموجه والسخرية البالغة من هؤلاء المنافقين جزاء وفاقا لما قدموه من استهزاء بهم.⁵

1 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية، ص314.

2 سورة الحديد، الآية رقم:13.

3 سورة النساء، الآية رقم:142.

4 باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها واسرارها البلاغية، ص332.

5 المصدر نفسه، ص332.

الفصل الثالث

الإعجاز في القرآن الكريم

نتقل الآن للحديث عن إعجاز القرآن الكريم ردا صغيرا عن من يهاجمون القرآن ويخوضون في غير

أمكنتهم:

"كان أول ما ظهر من الكلام في القرآن مقالة تعزى إلى رجل يهودي، اسمه لبيد بن الأعصم، فكان يقول أن التوراة مخلوقة والقرآن كذلك ثم أخذها عنه طالوت بن أخته وأشاعها، فقال بنان بن سمعان الذي نسبت إليه البنانية "وتلقاها عنه جعد بن درهم"¹، وكان زنديقا فاحش الرأي واللسان وهو أول من صح بالأفكار على القرآن والرد عليه، وهجر أشياء مما فيه وأضاف إلى القول بخلقه أن فصاحته غير معجزة وأن الناس يقدرون على مثلها، وعلى أحسن منها ولم يقل بذلك أحد قبله ولا فشئت المقالة بخلق القرآن إلا من بعده"².

"ولم تظهر فتنة حلق القرآن بعده، إلا في زمن أحمد بن داود وزير المعتصم بالله سنة 220هـ، وكان أول من بالغ في القول بذلك عيسى بن صبيح الملقب بالمزدار الذي نسبت إليه المزدارية"³، فهذا من بين الكثير الذين حاولوا الطعن في القرآن الكريم والتقليل من شأنه لكن هيهات فإن الله جنودا فوق الأرض يحمون كتابه، وهم لهم بالمرصاد فكل من حاول أو حتى فكر أن يمس كتاب الله بسوء سواء بلفظ أو بغيره.

"أول الكتب التي ألفت في الإعجاز:"⁴

" أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف إنما هو فيما نعلم كتاب "الأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي"⁵، المتوفى سنة 306هـ، وهو كتاب شرحه "عبد القادر الجرجاني"⁶ شرحا كبيرا سماه المعتضد وشرحا آخر أصغر منه، ولا نظن الواسطي بين الأعلى ما ابتدأه الجاحظ⁷ كما ألف عبد القادر في "دلائل الإعجاز" على الواسطي، ثم وضع "أبو عيسى الروماني"⁸ المتوفى سنة 382هـ، كتابه في الإعجاز فرجع

1 جعد بن درهم: مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

2 مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة الأهلية-مصر، ط2، 1345هـ-1926م، ص140.

3 المصدر نفسه، ص141.

4 المصدر نفسه، ص141.

5 هو يزيد بن هارون(206،111هـ-736،821م)، أبو خالد الواسطي شيخ الإسلام وهو أول من وضع شرح الإعجاز وبسط القول فيه، على طريقتهم في التأليف، ولا يبعد أن يكون قد استفاد مما كتبه الجاحظ، و بنى عليه وعلى كل هذا الكتاب أيضا للم يصل إلينا، وإنما وصل إلينا ما بني عنه في دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني.

6 المتوفى سنة 471هـ، وهو واضع أصول البلاغة، وضع كتابه "دلائل الإعجاز" والظاهر أنه بنى على ما جاء من الواسطي، لكنه فاقه في أنه كان ذوقا للأسلوب القرآني.

7 هو عمر بن بحر المتوفى سنة 225هـ، وهو أول من تكلم عن بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز، وأفرد كتابا سماه نظم القرآن، وقد تكلم فيه عن الإعجاز في القرآن.

8 هو النحوي اللغوي المفسر، المتوفى سنة 384هـ، فقد ألف كتابا في إعجاز القرآن، وقد طبعت هذا الكتاب دار المعارف بالقاهرة، مع رسائل أخرى في هذا الفن.

بذلك درجة ثالثة، وجاء القاضي "أبو بكر الباقلاني" 1 فوضع كتابه "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون بعده على أنه باب في الإعجاز على حده.²

وممن ألفوا في الإعجاز أيضا على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليها "الإمام الخطابي" 3 المتوفى سنة 388هـ، و"فخر الدين الرازي" والأديب البليغ "بن أبي الأصعب" و"الزملكاني" وهي كتب بعضها من بعض.⁴

"أسلوب القرآن" 5:

"لما ورد أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها مشاركة فيها ألفوه، من طرق الخطاب وألوان المنطق ليس في ذلك إعنات ولا معاناة، غير ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه ونسق حروفه، في كلماتها وكلماته في جملها، ونسق هذه الجملة في جملة ما أذهلهم عن أنفسهم من هيبه رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الجلود حتى أحسوا بضعف الفطرة القوية وتخلف الملكة المتحكمة."⁶

"وإننا لنظن أن تهممة النبي - صل الله عليه وسلم- بأنه شاعر لم تكن ابتداء إلا من قبل بعض اليهود، وتعلق بها العرب مكابرة وهم يعرفون أن القرآن ليس بشعر من شعرهم، ولا هو في أوزانه وأعارضه وفنونه وطرقه، ولكنهم تجاوزوا إلى ذلك ببراعة العبارة وسمو التركيب وتصوير الإحساس اللغوي بألوان من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها مما يكون القليل من جيده، خاصا بالفحل من شعرائهم ويكزن مع ذلك حقيقة الإحساس اللغوي في شعره وأين هذا الوجه البعيد الذي لا يستقيم في الرأي إلا بعد المعنى متحقق الدلالة ليس له لبس ولا إبهام ولا تجاوز."⁷

"القرآن والعلوم" 8:

1 المتوفى سنة 403هـ، وضع كتابه المشهور "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز.

2 المصدر نفسه ص 200.

3 الخطابي المتوفى سنة 388هـ، كتب في كتابه "بيان إعجاز القرآن" وهو مطبوع مع رسالة الزملكاني.

4 مصطفى صادق الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 200.

5 المصدر نفسه، ص 201.

6 نفسه، ص 201.

7 نفسه، ص 202.

8 المصدر نفسه، ص 202.

" كل دين سماوي فإنما هو طور من أطوار النمو في هذا العقل الإنساني يستقيل به الزمن درجات جديدة في نشأته الأرضية، فما التاريخ كله إلا مقياس عقلي درجاته وأرقامه هذه العصور المختلفة التي تستبين العقل منها مقدار زيادته من مقدار نقصانه."¹

" أما من وجه آخر فإن القرآن إنما هو الدرجة الأبدية التي أجاز عليها العالم في انتقاله من جهة إلى جهة، وإنما لمستيقنون أن هذه الدرجة هي نفسها التي سيحيز عليها العالم كرة أخرى والله عاقبة الأمور."²

"وأما أن هذا القرآن معجزة التاريخ العربي خاصة، وأصل النهضة الإسلامية فذلك بين كل وجوهه غير أننا سنقول في الجهة التي تتصل بنشأة العلوم إذ هي سبيل ما نحن فيه من هذا الفصل، وقد أومأنا إلى بدء تاريخ التدوين العلمي، وبعض أسبابه في باب الدواية، ومن الجزء الأول فتقتصر هنا على موجز من أسباب النشأة العلمية."³

"ولقد اعتنى المفسرون بألفاظ القرآن الكريم فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واجد ولفظا يدل على معنيين، ولفظا يدل على أكثر من جدوا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذي المعنيين، أو المعاني وأهمل كل منهم فكره، وقال اقتضاه نظره واعتنى الأصوليون بما فيه الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، فاستنبطها منه وسموا هذا العلم بأصول الدين."⁴

"التكرار في القرآن وحكمته:"⁵

"يختلف التكرار الذي يجيء في بعض الآيات القرآن فتختلف في طرق الأداء وأصل المعنى الواحد في العبارات المختلفة كالذي يكون في بعض قصصه، لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة، وتثبيت الحججة ونحوها أو في عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة، والتذكير بالمنعم واقتضاء شكره إلى ما يكون من هذا الباب."⁶

"بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته، وأنهم يخلون عنه لكثرة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا لضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة."⁷

1 نفس المصدر، ص 119.

2 نفسه، ص 119.

3 الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المصدر السابق، ص 120

4 نفسه، ص 120.

5 نفسه ص 199.

6 نفس المصدر، ص 199.

7 الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المصدر السابق، ص 199.

"أما الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز كراي أهل العربية، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها وله في ذلك أقوال كثيرة غير أن الرجل كثير الاضطراب فإن هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا من عصرهم في منحل، فقد سرد في موضع من كتاب "الحيوان" طائفة من أنواع العجز وردّها في العلة إلى أن الله صرف أوهام الناس عنها ورفع ذلك القصد من صدورهم ثم عد منها وبعض الفرق فإنهم يقولون إن وجه الإعجاز في القرآن هو ما اشتمل عليه من النظام الغريب المخالف لنظام العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعته وفواصله أي فكأنه بدع من ترتيب الكلام لا أكثر."¹

"وبعضهم يقول أن وجه الإعجاز في سلامة ألفاظه مما يشين اللفظ كالتعقيد والاستكراه ونحوهما مما عرفه علماء البيان، وآخرون يقولون بل ذلك في خلوه من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة وجماعة يذهبون إلى أن الإعجاز مجتمع من بعض الوجوه التي ذكرناه كثرة أو قلة ، وهذا الرأي حسن في ذاته لا لأنه الصواب ولكن لأنه يدل علو أن كل وجوه من تلك الوجوه ليس في نفسه الوجه المتقبل ، أما الرأي المشهور في الإعجاز البياني الذي ذهب إليه عبد القاهر والجرجاني صاحب "دلائل الإعجاز" فكثير من المتوسمين بالأدب يظنون أنه أول من صنّف فيه ووضع من أجله كتابه المعروف، وذلك وهم فإن أول من أوجد الكلام في هذا المذهب وصنّف فيه "أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي" ثم "أبو عيسى الرماني"، ثم "عبد القاهر"، وهذا الرأي كان هو السبب في وضع علم البيان."²

"حقيقة الإعجاز":³

"معنى قولنا: (إن القرآن معجز) على أصولنا: أنه لا يقدر العباد عليه، وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبي صلى الله عليه و سلم ، لا يصح دخوله تحت قدرة العباد، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه، ولا يجوز أن يعجز العباد عن ما تستحيل قدرتهم عليه، كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام، فنحن لانقدر على ذلك وإن لم يصح وصفنا بأننا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا."⁴

"فلما لم يقدر عليه أحد شبه بما يعجز عنه العاجز، وإنما لا يقدر العباد على الإتيان بمثله، لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز، وقد أجرى الله العادة بأن يتعذر فعل ذلك منهم ، وان لا يقدروا عليه."⁵

"وبظهور العجز عنه بعد طول التقريع والتحدي، بان انه خارج عن عاداتهم، وانهم لا يقدرون عليه، ومعنى هذا أنه لا كلام أزيد في قدر البلاغة من القرآن."¹

1 نفسه، ص161.

2 مصطفى صادق الرفاعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص161.

3 الباقلاني، اعجاز القرآن ، ص288.

4 الباقلاني، اعجاز القرآن ، ص288

5 المصدر نفسه 288

و كل من جوَّز أن يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله في البلاغة – لمَّ يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال.
 " و لو لم يكن جرى في المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزاً، لكان يجوز أن تجرى عادات البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة ، و أمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة."²

"اما (نظم القرآن) فقد قال اصحابنا فيه ان الله تعالى يقدر على نظم هيئة اخرى تزيد في الفصاحة عليه، كما يقدر على مثله."³

وبذكر نظم القرآن فقد خصصنا له جانب من رسالتنا هذه.

"نظم القرآن":⁴

"والكلام بالطبع يتركب من ثلاثة: حروف من الأصوات ، وكلمات من الحروف ، وجمل من الكلم ، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به ، فليس لنا بد في صفته من الكلام في ثلاثتها جميعها."⁵

"ومن أظهر الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن الكريم وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء ان نظم القرآن يقتضي كل ما فيه منها اقتضاءً طبيعياً بحيث يبنى هو عليها لانها في اصل تركيبه ولا تبني هي عليه، فليس فيه استعارة ولا مجاز ولا كناية ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز او فيما يسعه الامكان ان يصلح غيره في موضعه اذا تبدلت منه فضلاً عن ان يفني به وفضلاً عن ان يربي عليه ولو ادت اللغة كلها على هذا الموضع."⁶

"الحرف الواحد في القرآن معجز في موضعه لانه يمكس الكلمة التي هو فيها ليملك بها الآية و الآيات الكثيرة وهذا هو السر في اعجاز جملته اعجازاً ابدياً لانه امر فوق الطبيعة الانسانية وفوق ما يتسبب اليه الانسان اذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة."⁷

"السر في القرآن انه لا يمل":⁸

1 المصدر نفسه ص289.

2 المصدر نفسه ص440

3 المصدر نفسه ص441

4 مصطفى صادق الرفاعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص217.

5 المصدر نفسه، ص217.

6 المصدر نفسه، ص218

7 المصدر نفسه ص218

8 المصدر نفسه ص220.

ومما انفرد به القرآن وبابن سائر الكلام انه لا يخلق على كثرة الرد و طول التكرار ولا تمل منه الاعادة ، وكلما اخذت فيه على وجهه الصحيح فلم تخل بأدائه رايته غضضا طريا جديدا وصادفت من نفسك له نشاطا مستانفا وحسا موفورا ،وهذا امر يستوي في اصله العالم الذي يتذوق الحروف و يستمرئ تركيبها ويمعن في لذة نفسه من ذلك،والجاهل الذي يقرأ ولا يثبت معه من الكلام الا اصوات الحروف والا مايميزه من اجراسها على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقة نفسه وهو لعمر الله امر يوسع فكر العاقل،ويملاً صدر المفكر ولا نرى جهة تعليله ولا "نصح منه تفسيراً الا ما قدمنا من اعجاز النظم،بخصائصه الموسيقية،وتساوق هذه الحروف على اصول مضبوطة من بلاغة النغم بالهمس و الجهر و القلقله و الصغير والمد و الغنة ونحوها،واختلاف ذلك في الآيات بسطا و ايجازا وابتداء و ردا و تكريرا."¹

"دليل الاعجاز في القرآن الكريم"² :

بلاغة القرآن الكريم:

"والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي،فتصوره بألفاظها ، لتلقيه في النفي، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى، ظاهرا فيه المهم و الأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظين فحسب، و لكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الآية ضرورة لا معدى عنه، و إلا اختل و انحار، خذ مثلا قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبُّنَا تَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾"³.

"تجد إسماعيل معطوفا على إبراهيم، فهو كأبيه يرفع القواعد من البيت، و لكن تأخره في الذكر، يوحي بأن دوره في رفع القواعد دور ثانوي، أما الدور الأساسي فقد قام به إبراهيم بيبي، و إسماعيل يناوله الحجارة"⁴ فنزلت الآية و كأنما كانت ستنسى دور إسماعيل لثانويته، ثم ذكرته بعد أن انتهت من تكونها.

" و خذ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"⁵. فإنك ترى تقديم المفعول هنا ، لأنه موضع عناية العابد و رجاء المستعين، فلا جرم و هو مناط الاهتمام أن يقدم كما يتقدم كل ما يهتم به و يعنى. و خذ قوله تعالى: ﴿وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾"⁶. تجد المستعان عليه في الآية غير مذكور، لا

1 المصدر نفسه ص227

2 احمد بدوي،من بلاغة القرآن ، ص85

3 البقرة الآية 127

4 احمد بدوي،من بلاغة القرآن ، مارس 2005م،ص85

5 سورة الفاتحة الآية 5

6 سورة البقرة الآية 4-5

تحففا من ذكره، و لكن ليوحى هذا الحذف إلى النفس أن كل ما يقوم أمام المرء من مشقة، و ما يعترضه من صعوبات، يستعان على التغلب عليه، بالصبر و الصلاة¹.

"تمضي الجملة القرآنية، و قد كونت من كلمات قد اختيرت، ثم نسقت في سلك من النظام، فلاضعف في تأليف، و لا تعقيد في نظم، و لكن حسن تنسيق، و دقة ترتيب، و إحكام في تلاؤم. و اقرأ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ هُمُ يُوقِنُونَ﴾"²

ترى آيات قد التحم نسجها، و ارتبط بناء بعضها ببعض، تسلم الجملة الى اختها، في التثام و اتساق، فالجملة الاولى قد وصفت القرآن بالكمال، ووصفته الجملة الثانية بأنه لا يعلق به الريب، لا في اخباره، ولا في نسبه الى الله، و في الجملة التالية جعله هاديا لاوئك الذين يخشون الله و يتقونه، ومضت الآية الثانية تصف هؤلاء الذين ينتفعون بالقرآن، فهم الذين يوقنون بما انبأهم به من امور غائبة لا يرونها، ويقومون بواجبهم لله، فيؤدون الصلاة كما تجب ان تؤدى، وواجبهم للمجتمع، فيقدمون من اموالهم مايساعدون به البائس و المعتر، ولا يتعصبون لرسول دون رسول، بل يؤمنون بما انزل على محمد و ما انزل من قبله، وراس الايمان و اساسه هو ايمانهم باليوم الآخر، لان ذلك الايمان يدفع الى العمل الصالح، وينهى عن المنكر و البغي، فلا جرم ان كان اولئك على هدى من ربهم وكانوا هم المفلحين.³

"وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾"⁴ اولا تحس في قوله سبحانه (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ) بالتهكم اللاذع بهم، وان تلك الاماني التي تجول في صدورهم، لن تجد لها سبيلا للتحقق في غير احلامهم.⁵

"وتستخدم الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد و الحدوث، والاسمية للثبوت و الاستمرار، والمراد بالتجدد في الماضي حصوله، و في المضارع تكراره، تأمل ذلك في قوله تعالى على لسان ابراهيم ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾"⁶

التقديم والتأخير:

1 احمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص 86

2 البقرة الآية 2-5

3 احمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص 87

4 سورة البقرة الآية 111

5 احمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص 91

6 الشعراء الآية 78-79

"اذا كانت الواو لمطلق الجمع، ولا تقتضي ترتيباً ولا تعقيماً، فليس معنى ذلك ان الآية القرآنية، تجمع بها معطوفات على غير ترتيب ولا نظام، واذا كان من الجائز ان يتقدم بعض اجزاء الجملة على بعض، فقد حرصت الجملة في القرآن، على ان يكون هذا التقديم، مشيراً الى مغزى، دالا على هدف حتى تصبح الآية بتكوينها تابعة لمنهج نفسي، يتقدم عندها فيها ما تجد النفس تقديمه افضل من التأخير، فيتقدم مثلاً بعض اجزاء الجملة حين يكون المحور الذي يدور عليه الحديث وحده فيكون هو المقصود و المعنى، والنفس يتقدم عندها من يكون هذا شأنه، فلا جرم ان يتقدم في الجملة، كما تقدم في النفس، ويدعو البلاغيون هذا التقديم بالاختصاص"¹

وبتقديم بعض المعطوفات والصفات على بعض كما يتقدم السبب على المسبب، في قوله سبحانه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فتقديمه العبادة على الاستعانة، تقديم للوسيلة، قبل طلب الحاجة، وذلك انجح في توقع حصولها، وقوله سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنَسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾ فتقدم ذكر البلدة الميتة، لان في حياتها حياة الانعام فمن نباتها تأكل وتنمو، وتقدم الانعام على الاناس لان في حياة تلك حياة هؤلاء"²

"تقدم السارق على السارقة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾³ لان السرقة في الذكور"⁴

وغيره من الامثلة الكثيرة والواسعة عن التقديم و التأخير لاعطاء الدليل و البرهان على اعجاز القرآن الكريم.

1 احمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص92

2 المصدر نفسه، ص92

3 المائة الآية 38

4 احمد بدوي، من بلاغة القرآن ، ص93

جنتی

خاتمة:

وفي ختام هذه الرحلة التي استمتعنا بمحطاتها، بالحديث في كلام الله عز وجل، لنصل إلى المحطة الأخيرة وهي النتائج المتوصل إليها عبر هذا البحث...

1- أن القرآن معجز بألفاظه و معانيه، وأنه ليس بكلام بشر ولا من تأليف جني ولا بشر، وهذا يعتبر رد لاذع للذين قالوا بأنه من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

2- رغم المحاولات الفاشلة إلا أن هتافات علمائنا كانت أعلى و أقوى، وظلت كلمة الحق مدوية وراسخة عبر العصور، وما زالوا يدافعون عن القرآن، كأمثال الباقلاني، الجرجاني والشعراوي رحمه الله.

3- إضافة إلى علوم الفقه وعلوم الدين أصبح لعلم اللغة جانباً جيداً، في الدفاع عن القرآن الكريم وعن دين الله عز وجل.

4- رغم المحاولات الكثيرة للتشكيك في كلام الله عز وجل إلا أنها باءت بالفشل و ظل القرآن النور و الهدى و اليقين.

5- لقد كانت هذه محاولة لجمع مختلف المحاولات لدراسة أساليب السخرية و التهكم في القرآن الكريم.

6- التهكم في القرآن أسلوب مميز، و معمق كالتكرار الذي جعله الله في آياته الذي دلالاته أعظم من مجرد التكرار اللفظي، الذي ليس له فائدة إلا التأكيد.

7- التهكم هو الصورة التي يسخر الله تعالى بها من المنافقين و يهزأ من حالهم جزاء بما كانوا يستهزؤون من الأنبياء و المرسلين و سخرتهم من حال المؤمنين لذا فالله يسخر منهم كما كانوا يسخرون.

8- فائدة التهكم هو تبيان حال الكافرين، و السخرية منهم و الاستهزاء بهم، بسبب تبوئهم منزلة منحطة و تبيان درجة الذل و الهوان على الله عز وجل أي أنهم هانوا على الله فأحبطهم و أذلهم.

وهذه جملة النتائج التي توصلنا إليها من هذا البحث و جل ما اسخلصناه.

قَائِمَةُ الْمَصَائِرِ

وَالْمِنْ أَجْعَاء

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل.
- 1- ابن ابي الصبح المصري، تحرير التحرير في صنعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، تحقيق الدكتور حنفي محمد مشرف، باب الهزل الذي يراد به الجدد
 - 2- ابن خلدون، المقدمة، دار الإحياء للتراث العربي، بيروت، 1408م
 - 3- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ف.س.ر)، دار الجيل، ط1، 1891م، ج4
 - 4- ابن كثير، تفسير ابن كثير، الدخان
 - 5- ابن منظور، لسان العرب، ج11
 - 6- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الوجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ج1
 - 7- أبي الفداء إسماعيل القرشي عماد الدين، تفسير ابن كثير، دار ابن الجوزي، السعودية، سورة الدخان،
 - 8- أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي، الصحيح المسند من أسباب النزول
 - 9- ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، دراسة و شرح و تحقيق دكتورة عائشة حين فريد، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 1998م، باب الرابع (في الكنايات عن المقابح والعباب والمثالب)، فصل1 (القبح و السواد)
 - 10- احمد بدوي، من بلاغة القرآن
 - 11- أحمد ذياب عاترة، أسلوب التهكم في القرآن الكريم-دراسة تحليلية بيانية، ت.إشراف: د. مصطفى إبراهيم، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، جوان 2005م، مب:1، مط:1
 - 12- الأزهرى، تهذيب اللغة، دار الكتب العلمية، 4 نوفمبر 2004م، ط3، ج2
 - 13- الباقلائي، اعجاز القرآن
 - 14- باهي والي باهي عبد الله، السخرية مواقعها و اسرارها البلاغية، الفصل الثاني، المبحث السادس: السخرية المصورة لنتيجة الشرك يوم القيامة
 - 15- البغاوي، معالم التنزيل، تح: خالد عبد الرحمن، حوار المعرف، بيروت-لبنان، ط1، 1406-1986م، ج1،
 - 16- تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، 2366، ج25/14
 - 17- حنفي عبد الحليم، التصوير الساخر، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، 1992م، ص223-224.
 - 18- التفسير الوسيط للقران الكريم، مطبعة المصحف الشريف، لجنة مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، ط3، 1413-1992م
 - 19- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب-القاهرة، ط4، نقلا عن: أساليب التهكم في القرآن الكريم، علي الأوسي.
 - 20- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تح: عبد الله بن هبيل المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م، ج1

- 21- جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1992م، مج:1، ط7
- 22- جعد بن درهم: مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.
- 23- حازم القرطبي، منهج البقاء وسراج الأدياء، تح: محمد حبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1981، 2م
- 24- الرازي المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي يحيى بن حمزة، مطبعة المقتطف، مصر، ت:749، 1332هـ، ج3
- 25- الرزقاني عبد العظيم مناهل العرفان في علوم القرآن: فواز محمد الزمرني، دار الكتاب العربي، ج1
- 26- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط1، 1376هـ، ج1
- 27- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص499، ذكر: ابن عطية في المحرر الوجيز، ج5، ص68، وابن الجوزي، زاد الميسر، ج7
- 28- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان
- 29- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق-بيروت، ط8، 1979م
- 30- السيوطي جلال الدين، أسباب النزول المسمى لباب النقول، ع911هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1422هـ-2002م
- 31- السيوطي جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، 1416هـ-1996م،
- 32- 1407هـ، باب إثم من كذب على رسول الله -صل الله عليه وسلم-، حديث رقم 107، ج1
- 33- الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير، تفسير غريب القرآن، 1182هـ، الدال المضمومة
- 34- عباس علي الاوسي، اساليب التهكم في القرآن الكريم،
- 35- عبد العظيم الورزاق محمد، مناص العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، السنة 2
- 36- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تع: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، 4140هـ،
- 37- عنانزة أحمد دياب، أسلوب التهكم في القرآن الكريم، دراسة تحليلية بيانية، كلية الدراسات العليا، رسالة دكتوراه، نوقشت بتاريخ 2005/05/15م
- 38- فتح البيان في مقاصد القرآن، التنوخي، النجاري أبي الطيب ابن الحسن بن علي، تق: إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، 1248-1307هـ، ج12
- 39- فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990م،
- 40- الكشاف، الزمخشري، ج5
- 41- لجنة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، اشراف مجمع البحوث القرآنية، سورة هود الاية 38
- 42- لويس معلوف، النجد في اللغة والإعلام، مطبعة الكاثوليكية والمعارف، بيروت، 1973م
- 43- مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، مادة هزأ
- 44- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، 1429هـ-2008م، ط4
- 45- مصطفى صادق الرفاعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة الأهلية-مصر، ط2، 1345هـ-1926م،

- 46- المعجم الوسيط، مادة (ذو, ق) (ذو, ق)
- 47- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان بيروت، ط1، 1401هـ-1981م، الجزء 27
- 48- مقال التهكم في القرآن الكريم، عثمان قدرى مكناسي، 2021/06/07 الموقع: noor-ebook.com
- 49- ناصر السعدي عبد الرحمن، تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص909.
- 50- الواحدي، اسباب النزول
- 51- الوادعي أبي عبد الرحمن مقبل، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة صفاء الأثرية، ط2، 1425هـ-2004م
- المواقع الالكترونية

1 <https://www.makinateelfikre.com/2019/3> what is the bethinking of themethode.

فہمیں سن، املو ضرورت عانت

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

اهداء

أ..... مقدمة

الفصل الأول مفهوم الأسلوب

- د الأسلوب لغة: 02.....
- هـ الأسلوب اصطلاحاً: 02.....
- أهم ما قيل في الأسلوب: 03.....
- التهكم: 03.....
- لغة: 04.....
- التهكم اصطلاحاً: 04.....
- العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى 04.....
- التهكم في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة: 05.....
5. نشأة المصطلح: 05.....
6. مرادفات التهكم: 06.....
- السخرية: 06.....
- الهزل: 06.....
- الفكاهة: 07.....
- الاستهزاء: 07.....
- الاستخفاف: 08.....
- الهزل الذي يراد به الجد: 08.....
7. التهكم عند علماء التفسير: 08.....
- مواطن التهكم في السنة النبوية: 09.....
8. امثلة عن التهكم: 10.....
- أنواع التهكم: 12.....

12.....	التهكم اللفظي
13.....	السخرية المعنوية
17.....	الالفاظ المتضمنة معنى التهكم:
19.....	أساليب التهكم:
19.....	التهكم الصوتي:
20.....	التهكم الصيغي

سورة الدخان

24.....	تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:
24.....	لغة:
24.....	اصطلاحاً:
25.....	التعريف بسورة الدخان:
27.....	أقوال جملة من المفسرين في هيئة الدخان:
27.....	أسباب التنزيل:
29.....	تفسير الآيات العشر الأولى من سورة الدخان
31.....	التهكم في سورة الدخان:
34.....	دلالة الفعل "ذق" في القرآن الكريم:
36.....	تفسير الرازي لسورة الدخان:
42.....	تفسير قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ..... إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾:
48.....	"التهكم من حال المنافقين يوم القيامة:"
49.....	"سخرية القرآن من المنافقين:"

الإعجاز في القرآن الكريم

55.....	"أول الكتب التي ألفت في الإعجاز
56.....	"أسلوب القرآن"
57.....	"القرآن والعلوم"
57.....	"التكرار في القرآن وحكمته:"
58.....	"حقيقة الإعجاز

59	"نظم القرآن:
59	"السر في القرآن انه لايميل.....
60	"دليل الاعجاز في القران الكريم.....
60	بلاغة القرآن الكريم:
61	التقديم والتأخير:
64	خاتمة
66	قائمة المصادر والمراجع

ملخص

ان القرآن الكريم كان ومزال محط دراسة الدارسين ولكن كما قال الله عز وجل (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)، فهذه الرسالة قد احتوت ليس على جميع المعلومات، ولكن ما استطعنا جمعه لحد الآن، فالقرآن ما هو الا دليل صغير على عظمة الله، نظرا الى آيات الكون ونظرا الى خلق الانسان في حد ذاته، و مناط و موضوع رسالتنا كان عن التهكم في القرآن الكريم، وانه اسلوب من اساليب القرآن المعجزة، سخر الله من الكفرة و غيرهم و استهزأ بهم ليجعلهم يرون انهم اهون من ان يرد الله عليهم او يكون اندادا لله -حاشاه جل وعلا- لكن مع هذا ظل المكذبون يسعون وراء الفاظ الله عز وجل لعل و عسى ان ينجحوا في احباط هذا المنهل العظيم، ولكن هيهات ان يدنوا حتى من حرف العطف فيه .

sommaire

Le Saint Coran était et est toujours l'objet d'étude pour les érudits, mais comme Dieu Tout-Puissant l'a dit (et vous avez reçu un peu de connaissance), ce message ne contient pas toutes les informations, mais ce que nous avons pu collecter jusqu'à présent L'univers et compte tenu de la création de l'homme en lui-même, et l'objectif et le sujet de notre message étaient le sarcasme dans le Saint Coran, et que c'est l'une des méthodes miraculeuses du Coran, Dieu s'est moqué du infidèles et autres et se sont moqués d'eux pour leur faire voir qu'il est trop facile pour Dieu de leur répondre ou d'être égal à Dieu - Interdit, Tout-Puissant et Exalté, - mais avec cela, les négateurs ont continué à rechercher les paroles de Dieu le Puissant et Sublime, peut-être et peut-être réussiraient-ils à déjouer cette grande bouche d'égout, mais il ne leur est pas possible de s'approcher même de la lettre de bonté qui s'y trouve.